علو الهمّة في العفّة والقنَاعَة

العِفَّة دليلٌ على كمالِ النَّفْس وعِزِّها، ونزاهتها، ودليل كمال العقل، وهي ركْنٌ من أركانِ المروءة يُنال بها الحمدُ والشَّرَف.

والعِفّة هي الكَفُّ عن القبيح، والمحارمِ الدَّنِيّة، والكَفُّ عن الحرامِ والسؤالِ من الناسِ. وهي أيضًا النَّزاهة عن الشيء.

□ قال الرَّاغِبُ: «العِفَّةُ: حُصولُ حَالةٍ للنَّفْسِ تَمْتَنِعُ بها عن غَلبةِ الشَّهْوةِ، والمتعفِّفُ هو المُتعاطي لذلك بِضَرْبٍ من الممارسةِ والقَهْرِ»[١].

□ وقال أيضًا: «العِفَّةُ هي ضَبْطُ النَّفْسِ عن الملاذِّ الحيوانيَّةِ، وهي حالةٌ متوسِّطَةٌ من إفْرَاطٍ وهو الشَّرَهُ، وتَفْرِيطٍ وهو جُمُودُ الشَّهْوةِ»[٢].

□ وقال الكَفَوِيُّ: «العِفَّةُ هي الكَفُّ عمَّا لا يَحِلُّ»[٣].

□ وقال الجاحِظُ: «هي ضَبْطُ النَّفْسِ عن الشَّهواتِ وقصرُهَا على الاكتفَاءِ بما يُقيمُ أَوَدَ الجسدِ ويحفظُ صحَّتَهُ فقط، واجتنَابُ السَّرَفِ في جميعِ الملذَّاتِ وقصْدُ الاعِتدَالِ، وأَنْ يكون ما يُقْتصَرْ عليه من الشَّهواتِ على الوجْهِ المستحَبِّ المتفق على ارتضائِهِ وفي أوقاتِ الحاجة التي لا غنى عنها، وعلى القدْرِ الذي لا يحتاجُ إلى أكثر منه، ولا يَحْرُسُ النَّفْسَ

---

(١) «المفردات» (ص٣٣٩).

(٢) «الذريعة إلى مكارم الشرعية» (ص٣١٥).

(٣) انظر: «الكلّيات» (ص٦٥٦).

والقوَّةَ أقلُّ منه، وهذه الحالُ هي غايةُ العِفَّةِ»[١].

□ قال الجُرْجَانِيُّ رحمه الله: «العِفَّةُ: هي هَيْئَةٌ للقُوَّةِ الشَّهْوِيَّةِ متوسِّطةٌ بين الفجُورِ الذي هي إفْرَاطُ هذه القوة، والخُمُودِ الذي هو تفريطُهُ. فالعفِيفُ من يُبَاشِرُ الأمور على وفْقِ الشَّرْعِ والمُرُوءَةِ»[٢].

أنواع العفة:

□ قال المَاوَرْدِيُّ رحمه الله: «العِفَّةُ والنَّزاهةُ والصِّيانَةُ من شُروطِ المروءَةِ، والعِفَّةُ نوعانِ: أحدُهُمَا العِفَّةُ عن المحارِمِ، والثاني العِفَّةُ عن المآثِمِ، فأمَّا العِفَّةُ عن المحارم، فنوعان: أحدُهُما: ضبطُ الفرْجِ عن الحرامِ، والثَّاني: كَفُّ اللِّسَانِ عن الأعْراضِ، فأَمَّا ضَبْطُ الفَرْجِ عن الحرامِ فلأنَّ عدَمَهُ مع وعِيدِ الشَّرْعِ وزَاجِرِ العقل معرَّةٌ فاضِحَةٌ، وهتكَةٌ واضِحَةٌ.

وأمَّا كَفُّ اللِّسان عن الأعْراضِ؛ فلأَنَّ عدمَهُ ملاذُّ السُّفَهاءِ وانتقامُ أهل الغوْغَاءِ، وهو مستسهَلُ الكفِّ، وإذا لمْ يقْهَرْ نفسه عنه برادعٍ كَافٍّ، وزاجِرٍ صَادٍّ، تلَبَّطَ بمعَارِّهِ، وتخبَّطَ بمضارِّه، وأمَّا العِفَّةُ عن المآثِمِ فنوْعَانِ أيضًا: أحدُهما: الكَفُّ عن المجاهَرَةِ بالظُّلْم، والثَّاني: زَجْرُ النَّفْس عن الإسرار بخيانةٍ.

فأمَّا المجاهرةُ بالظُّلم فعُتُوٌّ مهلِكٌ وطغْيانٌ مُتْلِفٌ، ويؤولُ إن استمَرَّ إلى فتنةٍ تُحيطُ في الغالب بصاحبها فلا تنكشِفُ إلَّا وهو مَصروعٌ. وأمَّا الاستسرارُ بالخيانةِ فضعةٌ؛ لأنَّه بِذُلِّ الخيانة مهينٌ، ولقلَّةِ الثِّقة به

---

(١) «تهذيب الأخلاق» (ص٢١، ٢٢).

(٢) «التعريفات» (ص١٥١)، و«التوقيف على مهمات التعاريف» للمناوي (ص٢٤٣).

مستكينٌ، وقد قيل: من يَخُنْ يَهُنْ.

هذا ولا يجعل ما يتظاهر به من الأمانة زُورًا، ولا ما يُبْديه من العِفَّةِ غرورًا، فيُنْتهك الزُّورُ وينكشفَ الغرورُ، فيكون مع هَتْكِهِ للتَّدْليس أقبح، ولمعرَّةِ الرِّياء أفضح»[1].

□ قال ابن الجوزي رحمه الله: «الكمالُ عزيزٌ والكامِلُ قليلُ الوجود، وأولُ أسباب الكمال تناسُبُ أعضاءِ البدن وحُسن صورة الباطِنِ، فصُورَةُ البدن تُسَمَّى خلْقًا، وصورةُ الباطنِ تُسمَّى خُلقًا، ودليلُ كمالِ صُورةِ البدنِ حسن السَّمْتِ واستعمال الأدب، ودليلُ كمال صورة الباطنِ حسنُ الطَّبَائعِ والأخلاق.

فالطَّبائِعُ: العِفَّةُ، والنَّزاهة، والأنفة من الجهل، ومباعدةُ الشَّرَه.

والأخْلاقُ: الكرم والإيثار وسترُ العيوبِ وابتداءُ المعروف، والحلم عن الجاهل.

فمن رُزِقُ هذه الأشياء رقَّتْهُ إلى الكمال، وظهر عنه أشرفُ الخلال، وإنْ نقصتْ خلَّةٌ أوجبت النَّقْصَ»[2].

شروط العفة:

واعلم أنَّه لا يكون المتُعفِّفُ عفيفًا إلَّا بشرَائطِ: وهي أنْ لا يكون تعفُّفُه عن الشَّيء انتظارًا لأكثر منه أو لأنَّهُ لا يُوافقه، أو لِجمُودِ شهوتِهِ، أو لاستشْعَارِ خوفٍ من عاقبته، أو لأنَّهُ ممنوعٌ من تناوُلِهِ، أو لأنَّهُ غير عَارفٍ به لقصوره، فإنَّ ذلك كُلَّهُ ليس بعِفَّةٍ؛ بل هو إمَّا اصطيادٌ، أو تطبُّبٌ

(١) انظر: «أدب الدنيا والدين» للماوردي (ص٣٨٤- ٣٩٠).

(٢) «صيد الخاطر» (ص٢٨٩).

أو مرضٌ أو خرْمٌ أو عجْزٌ أو جهلٌ، وترْكُ ضبْطِ النَّفْسِ عن الشُّهوةِ أذمُّ من تركها عن الغضب.

فالشَّهْوةُ مغتالةٌ مخادِعَةٌ، والغضبُ مُغالِبٌ، والمتحيِّزُ عن قتال المُخادع أرْدَأُ حالًا من المتُحَيِّزِ عن قتال المغالبِ؛ ولهذا قيل: عبدُ الشَّهْوةِ أَذَلُّ من عبد الرِّقِّ، وأيضًا بالشَّرَهِ قد يجهل عيبَه، فهو شبيه بأهل مدينةٍ لهم سُنَّةٌ رديئةٌ يتعاطونها وهم يعرفون قُبحها، وليس مَن تعاطي قبيحًا يعرفه كمن يتعاطاه وهو يظُنُّهُ حسنًا»[١].

تمام العفة:

لا يكون الإنسانُ تامَّ العفَّةِ حتَّى يكون عفيف اليد واللِّسانِ والسَّمْعِ والبصر، فمن عدمها في اللِّسانِ السُّخريةُ، والتَّجسُّس والغيبةُ والهمز والنَّميمةُ والتَّنابزُ بالألقاب، ومن عدمها في البصر: مَدُّ العين إلى المحارم وزينة الحياة الدُّنيا المولِّدة للشَّهواتِ الرَّديئة، ومن عدمها في السَّمْع: الإصغاءُ إلى المسموعات القبيحة. وعمادُ عِفَّة الجوارح كُلِّها أن لا يطلقها صاحبها في شيءٍ مما يختصُّ بكلِّ واحدٍ منها إلَّا فيما يُسوِّغُهُ العقل والشَّرْع دون الشَّهوة والهوى[٢]»..»[٣].

□ قال الراغب الأصفهاني: «العفة لا تتعلَّق إلَّا بالقوَّة الشهوية، ولا تتعلّق من القوة الشهوية إلَّا بالملاذ الحيوانيّة، وهي المتعلِّقة بالغارين وهما البطن والفرج.

---

(١) انظر: «الذريعة إلى مكارم الشريعة» (٣١٩).

(٢) المصدر السابق (ص٣١٩).

(٣) «نضرة النعيم» (ص٢٨٧٢ - ٢٨٧٤).

العفة هي ضبط النفس عن الملاذ الحيوانية، وهي حالة متوسطة بين إفراطٍ وهو الشَّرَه، وتفريطٍ وهو جمود الشهوة، وهي أَسُّ الفضائل من القناعة والزهد وغنى النفس والسخاء، وعدمُها يعفِّي على جميع المحاسن ويُعرِّي من لبوس المحامد، ومن اتسم بسمة العفّة قامت العِفَّة له بحُجّة ما سواها من الفضائل، وسهَّلت له سبيل الوصول إلى المحاسن، وأُسُّها يتعلَّق بضبط القلب عن التطلُّع للشهوات البدنية وعن اعتقاد ما يكون جالبًا للبَغْي والعُدوان، وتمامها يتعلَّق بحفظ الجوارح، فمن عَدِم عِفَّة القلب يكون التمَنِّي وسوء الظنِّ اللَّذانِ هما أُسُّ كل رذيلة؛ لأَنَّ مَن تمنَّى ما في يد غيره حسده، وإذا حسدَه عاداهُ، وإذا عاداه نازعه، وإذا نازعه رُبَّما قتله. ومن أساءَ الظنّ عَادَى وبغى وتعدَّى؛ ولذلك نهى الله سبحانه عنهما جميعًا فقال: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ﴾ [النساء: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌۖ﴾ [الحجرات: ١٢]، فأمر فيهما بقطع شجرتَيْن يتفرَّعُ عنها جل الرذائل والمآثم»[1].

ﮘﮗﮖﮘﮗﮖ

(١) «الذريعة» (ص٣١٨- ٣١٩).

آيات العِفّة في القرآن الكريم

آيات العِفَّة فيها عن الأجر أو السؤال للحاجة:

* قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٢٧٣)﴾ [البقرة].

* وقال تعالى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا (٦) لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا (٧)﴾ [النساء].

آيات العِفَّة فيها عن شهوة النكاح وأسبابه:

* قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١) وَأَنكِحُوا

ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٣٢﴾ وَلۡيَسۡتَعۡفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغۡنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱلَّذِينَ يَبۡتَغُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَكَاتِبُوهُمۡ إِنۡ عَلِمۡتُمۡ فِيهِمۡ خَيۡرٗاۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمۡۚ وَلَا تُكۡرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمۡ عَلَى ٱلۡبِغَآءِ إِنۡ أَرَدۡنَ تَحَصُّنٗا لِّتَبۡتَغُواْ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَمَن يُكۡرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعۡدِ إِكۡرَٰهِهِنَّ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣٣﴾﴾ [النور].

* وقال تعالى: ﴿وَٱلۡقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرۡجُونَ نِكَاحٗا فَلَيۡسَ عَلَيۡهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعۡنَ ثِيَابَهُنَّ غَيۡرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٖۖ وَأَن يَسۡتَعۡفِفۡنَ خَيۡرٞ لَّهُنَّۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٦٠﴾﴾ [النور].

* وقال تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٥﴾﴾ [يوسف].

□ قال الرافعي رحمه الله: «عَجبًا للحُبِّ! هذه مَلِكَةٌ تعشق فتاها الذي ابتاعه زوجُها بثمن بَخْس، ولكن أين مُلْكُها وسَطوةُ مُلْكِها في تصوير الآية الكريمة؟ لم تزد الآية على أن قالت: ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي﴾ و﴿ٱلَّتِي﴾ هذه كلمة تدلُّ على كل امرأة كانت مَن كانت؛ فلم يَبْقَ على الحُبِّ مُلْكٌ ولا مَنْزِلة، وزالتِ المَلِكة مِن الأُنثى!

وأعجبُ مِن هذا كلمة ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ﴾ وهي بصيغتها المفردة حكاية طويلة تشير إلى أن هذه المرأة جعلت تعترض يوسف بألوان من أنوثتها

لونٍ بعد لون؛ ذاهبة إلى فن، راجعة من فن؛ لأن الكلمة مأخوذة من رَوَدَانِ الإبل في مشيتها؛ تذهب وتجيء في رِفْق. وهذا يُصَوِّر حَيْرَة المرأة العاشقة، واضطرابها في حُبِّها، ومحاولتَها أن تنفذَ إلى غايتها؛ كما يُصَوِّرُ كبرياءَ الأُنثى إذ تختالُ وتترَفَّقُ في عرض ضعفِها الطبيعيِّ كأنمَّا الكبرياء شيءٌ آخر غير طبيعتها؛ فمهمَا تتهالك على مَن تُحِبُّ وجب أن يكون لهذا «الشيء الآخر» مظهرُ امتناعٍ أو مظهر تحيُّر أو مظهر اضطراب، وإن كانت الطبيعة من وراء ذلك مندفعة ماضية مصمِّمة.

ثم قال: ﴿عَن نَّفْسِهِۦ﴾ ليدُلَّ على أنها لا تطمع فيه، ولكن في طبيعته البشرية، فهي تَعرِض ما تعرِضُ لهذه الطبيعةِ وحدها، وكأن الآية مُصَرِّحة في أدَب سَامٍ كُلَّ السُّمُوِّ، مُنَزَّهٍ غاية التنزيه بمَا معناه: «إن المرأة بذلت كل ما تستطيعُ في إغرائه وتَصْبيتِه، مقبلةً عليه ومتدللةً ومبتذلة ومُنْصَبَّةً مِن كُلِّ جهة، بمَا في جسمها وجمالها على طبيعته البشرية، وعارضةً كل ذلك عَرْض امرأة خلعتْ – أول ما خلعت – أمام عينيه ثوب المُلْك.

ثم قال: ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ﴾ ولم يقل: «أغلقت» وهذا يُشعر أنها لمَّا يئست، ورأت منه محاولة الانصراف، أسرعتْ في ثورة نفسها مهتاجة تتخيَّل القُفَل الواحدَ أقفالًا عِدَّة، وتجري من بابٍ إلى باب، وتضطرب يدُها في الإغلاق، كأنَّمَا تُحاول سدَّ الأبواب لا إغلاقها فقط.

﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ ومعناها في هذا الموقف أن اليأس قد دفع بهذه المرأة إلى آخر حدودِه، فانتهت إلى حالة مِن الجنون بفكرتها الشهوانيّة، ولم تعد لا مَلِكة ولا امرأة، بل أنوثة حيوانيَّة صِرْفة، مُتكَشِّفَة مُصَرِّحة،

كمَا تكونُ أنثى الحيوان في أشَدِّ اهتياجها وغَلَيانها.

هذه ثلاثة أطوار يترقى بعضُها من بعض، وفيها طبيعة الأنوثة نازلةً من أعلاها إلى أسفلها. فإذا انتهت المرأة إلى نهايتها ولم يبْق وراء ذلك شيءٌ تستطيعه أو تعرضه بدأتْ مِن ثمَّ عظمة الرجولة السامية المتمكِّنة في معانيها، فقال يوسف: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ ثم قال: ﴿إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ﴾، ثم قال: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾. وهذه أسمى طريقة إلى تنبيه ضمير المرأة في المرأة، إذ كان أساسُ ضميرها في كل عصرٍ هو اليقينَ بالله، ومعرفة الجميل، وكرَاهةَ الظلم، ولكنَّ هذا التنبيه المترادِفَ ثلاثَ مرّات لم يكسر مِن نَزْوَتها، ولم يَفْثأ تلك الحِدَّة، فإنَّ حبَّها كان قد انحصر في فِكرَةٍ واحدة اجتمعت بكُلِّ أسبابها في زمن في مكانٍ في رَجُل، فهيَ مُحْتبَسَة كأنَ الأبوابَ مُغَلَّقة عليها أيضًا؛ ولذا بقيت المرأة ثائرةً ثورة نفْسها. وهنا يعودُ الأدبُ الإلهي السَّامي إلى تعبيره المعجز فيقول: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ﴾ فكأنمَا يُومِيءُ بهذه العبارة إلى أنها ترامَتْ عليه، وتَعلَّقت به، والتجأت إلى وسيلتها الأخيرة، وهي لَمْسُ الطبيعة بالطبيعة لإلقاء الجمرةِ في الهشيم..!

جاءت العاشقة في قضيتها ببرهان الشيطان يَقْذِف به في آخِر محاولته. وهنا يقعُ ليوسف عليه السلام برهان ربِّه كما وقع فيها هي برهانُ شيطانِها. فلولا بُرهان رُبِّه لكانَ رَجُلًا مِن البشر في ضعفه الطبيعي.

وها هنا المعجزة الكُبرى؛ لأنَّ الآية الكريمة تريدُ ألا تنفِيَ عن يوسفَ عليه السلام فُحولةَ الرُّجولة، حتى لا يُظنَّ به، ثم هي تريدُ من ذلك أن يتعَلَّم الرجالُ، وخاصة الشبَّان منهم، كيف يتسامَوْن بهذه الرُّجولة فوق

الشهوات، حتى في الحالة التي هي نهاية قُدْرَة الطبيعة؛ حالة مَلِكة مُطاعَة فاتنة عاشقة مُخْتَلِية مُتَعَرِّضَةٍ مُتَكَشِّفَةٍ متهالكَة.

هنا لا ينبغي أن ييأس الرجل، فإن الوسيلة التي تجعله لا يرى شيئًا من هذا هي أن يرى برهان ربه»(١).

الأحاديث الواردة في العِفَّة:

• عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أَنَّهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَرْبَعٌ إذا كُنَّ فِيكَ فَلا عليْكَ ما فَاتَكَ من الدُّنيَا: حِفْظُ أَمَانَةٍ، وصِدْقُ حَدِيثٍ، وحُسْنُ خَلِيقَةٍ، وعِفَّةٌ في طُعْمَةٍ**»(٢).

• عن عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَعَفُّ**(٣) **النَّاسِ قِتْلَةً: أَهْلُ الإيمانِ**»(٤).

---

(١) «وحي القلم» (١/ ٧٨- ٧٩) لمصطفى صادق الرَّافِعي.

(٢) أحمد (٢/ ١٧٧) رقم (٦٦٦١) واللفظ له، وقال الشيخ أحمد شاكر (١٠/ ١٣٩): إسناده صحيح. وعزاه كذلك للخرائطي في «مكارم الأخلاق» (١٠/ ١٣٧). وذكره الهيثمي في موضعين (٤/ ١٤٥) وقال: رواه أحمد والطبراني في «الكبير» وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن، وفي (١٠/ ٢٩٥) وقال: رواه أحمد والطبراني وإسنادهما حسن. وذكره كذلك المنذري في «الترغيب» في (٤/ ٥٨٩) وقال: رواه أحمد وابن أبي الدنيا والطبراني والبيهقي بأسانيد حسنة وذكره في «المشكاة» (٥٢٢٢)، وقال: رواه أحمد والبيهقي في «الشعب». وذكره الألباني في «صحيح الجامع» (١/ ٣٠١) رقم (٨٨٦) وقال: صحيح. وفي «الصحيحة» (٢/ ٣٧٠) رقم (٧٣٣).

(٣) العفة: النزاهة. ومعناها أنهم إذا قتلوا لا يمثلون.

(٤) أبو داود (٢٦٦٦) واللفظ له. وابن ماجه (٢٦٨١، ٢٦٨٢) وأحمد (١/ ٣٩٣) رقم (٣٧٢٧) وقال شاكر: إسناده صحيح (٥/ ٢٧٥). وقال محقق «جامع الأصول» (١٠/ ٢٧٣): حديث حسن.

□ قال ابن عباس رضي الله عنهما: أخبرني أبو سفيان بن حربٍ أَنَّهُ كان بالشَّام في رجَالٍ من قُريشٍ قدمُوا تُجَّارًا في المدَّةِ التي كانت بين رسول الله ﷺ وبين كُفَّار قريشٍ. قال أبو سفيان: فوجدنا رسول قيصر ببعض الشام، فانطلق بي وبأصحابي حتى قدمنا إيلْيَاءَ، فأدخلنا عليه.. الحديثَ. وفيه: قال: فماذا يأمُرُكُمْ به؟ قال: يأمرنا أن نعبد الله وحدهُ لا نُشرِكُ به شيئًا، وينهانا عمَّا كان يعبُدُ آباؤُنَا، ويَأمُرُنَا بالصَّلاةِ، والصَّدَقةِ، والعَفَافِ، والوفاءِ بالعهْدِ، وأداءِ الأمانةِ.. وسألتُكَ هل قاتلتموهُ وقاتلكُمْ؟ فزعمت أنْ قد فعل، وأَنَّ حربَكُمْ وحرْبَهُ تكون دُولًا، يُدال عليكم المرَّةَ وتُدَالون عليه الأخرى، وكذلك الرسل تُبْتَلى وتكون لها العاقبةُ. وسألتكَ بماذا يأمركم فزعمت أنَّهُ يأمُرُكم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، وينهاكم عمَّا كان يعبد آباؤُكم، ويأمركم بالصَّلاة، والصِّدْقِ والعفاف، والوفاءِ بالعهدِ، وأداء الأمانة. قال: وهذه صِفَةُ نبيٍّ قد كَنْتُ أعلم أنَّهُ خارجٌ، ولكن لم أعلم أنَّهُ منكم، وإن يكُ ما قلت حقًّا فيُوشِك أن يملك موضِعَ قدميَّ هاتيْنِ، ولو أرجو أن أخلصَ إليه لتجَشَّمْتُ لقاءَهُ، ولو كنت عنده لغسلت قدَمَيْهِ».. الحديث [1].

• عن أبي طلحةَ الأنْصارِيِّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أَقْرِئْ قوْمَكَ السَّلام، فإِنَّهم ما عَلِمْتُ أَعِفَّةٌ صُبُرٌ»** [2].

---

(١) البخاري «الفتح» (٦/ ٢٩٤١)، واللفظ له، ومسلم (١٧٧٣).

(٢) الترمذي (٣٩٠٣) واللفظ له وقال: حسن غريب. وقال المزي في «تحفة الأشراف» نقلاً عن الترمذي: حسن صحيح. (٣/ ٢٤٨) وأحمد (٣/ ١٥٠)، والبزار كما في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٤١)، والحاكم (٤٨٠)، وصححه وأقره الذهبي، وصحح الألباني الشطر الثاني منه، وفي الحديث محمد بن ثابت =

• عن عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه قال: عن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كان يقولُ: **«اللهمَّ إنِّي أسْأَلُكَ الهُدَى والتُّقَى والعَفَافَ والغِنَى»**[١].

• عنْ عِياضِ بن حمارٍ المُجَاشِعِيِّ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال ذات يومٍ في خُطْبَتِهِ: **«ألا إنَّ رَبِّي أمَرَني أَنْ أُعَلِّمَكُمْ ما جهلتم ممَّا علَّمني يومي هذا كلُّ مالٍ نحلته عبدًا حَلالٌ. وإنِّي خلقتُ عبادي حُنفاءَ كلَّهم. وإنَّهم أتتهم الشياطينُ فاجْتالتْهم[٢] عن دينهم، وحرَّمتْ عليهم ما أحللتُ لهم، وأمرتهم أَنْ يشركوا بي ما لم أنزل به سُلطانًا. وإنَّ الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم، عربهم وعجمهم، إلَّا بقايا من أهلِ الكتابِ. وقال: إنَّما بعثتُكَ لأبتليك وأبْتلي بك. وأنزلتُ عليك كتابًا لا يغسلُهُ الماء[٣] تقرؤُهُ نائمًا ويقظان. وإنَّ الله أمرني أنْ أُحَرِّقَ قريشًا. فقلت: رَبِّ إذًا يثلغوا رأسي[٤] فيدعوه خُبْزةً. قال: استخرجهم كما استخرجوك. واغْزُهُمْ نغْزِكَ. وأنفقْ فسننفِقْ عليك، وابعثْ جيشًا نبعثْ خمسةً مثلَهُ. وقاتلْ بمن أطاعكَ من عصاك. قال: وأهْلُ الجنَّةِ ثلاثةٌ: ذُو سلطانٍ مقسطٌ متصدِّقٌ مُوَفَّقٌ. ورجلٌ رقيقُ القلبِ لكُلِّ ذي قرْبَى ومسلمٍ. وعفيفٌ ذو عيالٍ. وأهل النَّار خمسةٌ: الضَّعيفُ الذي لا زَبْرَ له[٥]، الذين هم فيكم تبعًا لا يتبعون أهلًا ولا مالًا.**

البناني وهو –كما قال الحاكم- : عزيز الحديث لم يأت بمعنىً منكر.

(١) مسلم (٢٧٢١).

(٢) اجتالتهم: استخفوهم فذهبوا بهم.

(٣) كتابًا لا يغسله الماء: معناه محفوظ في الصدور لا يتطرق إليه الذهاب بل يبقىٰ علىٰ مَرِّ الزمان.

(٤) إذًا يثلغوا راسي: أي يشدخوه ويشجوه كما يشدخ الخبز، أي: يكسر.

(٥) لا زبر له أي: لا عقل له يزبره، ويمنعه مما لا ينبغي.

والخائِنُ الذي لا يَخْفَى له طمعٌ وإنْ دَقَّ إلَّا خانهُ. ورجلٌ لا يصبحُ ولا يمسي إلَّا وهو يُخادِعُكَ عن أهلك ومالك». وذكر البُخْل أو الكذب. «والشِّنْظِيرُ[١] الفَحَّاشُ»[٢].

• عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «بَرّوا آباءَكُم تبرَّكُمْ أَبْنَاؤُكُمْ وعِفُّوا تَعِفَّ نِسَاؤُكُمْ»[٣].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثةٌ حَقٌّ على الله عونُهُمْ: المُجَاهِدُ في سَبِيلِ الله، والمُكَاتَبُ الذي يُريدُ الأَدَاءَ، والنَّاكِحُ الذي يريدُ العَفَافَ»[٤].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «الخَيْلُ لِثَلاثةٍ: لِرَجُلٍ أَجْرٌ ولِرَجُلٍ سِتْرٌ، وعلى رَجُلٍ وِزْرٌ، فأَمَّا الذي لَهُ أَجْرٌ فرجُلٌ رَبَطَها في سَبيلِ الله فَأطالَ في مَرْجٍ أَوْ رَوْضَةٍ، فما أصابتْ في طِيلِهَا ذلكَ المَرْجَ[٥] والرَّوْضَةَ كان لهُ حَسَنَاتٍ، ولَوْ أنَّها قطعَتْ طِيلَها[٦] فاستنَّتْ شرفًا أو

(١) الشنظير: السيء الخلق.

(٢) مسلم (٢٨٦٥).

(٣) ذكره المنذري في «الترغيب والترهيب» (٣/ ٣١٨) وقال: رواه الطبراني بإسناد حسن. وقال: رواه أيضًا هو وغيره من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) الترمذي (١٦٥٥) واللفظ له وقال: هذا حديث حسن. والنسائي (٦/ ٦١). وابن ماجه (٢٥١٨). وقال محقق «جامع الأصول»: إسناده حسن وعزاه أيضًا لأحمد وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه (٩/ ٥٦٣)، وذكره المنذري في «الترغيب والترهيب»، وقال: رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح، وابن حبان في «صحيحه» والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم (٣/ ٤٣).

(٥) المرج: يعني المرعى.

(٦) الطِّوَل أو الطِّيَل: هو الحبل.

شرفين [١] كانت آثارها وأرواثُها حسناتٍ له، ولو أنَّها مرَّتْ بنهرٍ فشرِبَتْ منه ولم يُرِدْ أن يستقي به كان ذلك حسناتٍ له، وهي لذلك الرَّجُل أجْرٌ، ورجلٌ وربطها تغنيًّا وتعفُّفًا ولم ينْسَ حقَّ الله في رقابها ولا ظُهُورها فهيَ لهُ سِتْرٌ، ورجُلٌ ربطها فخْرًا ورياءً فهي على ذلك وِزْرٌ». وسئلَ رسول الله ﷺ عن الحُمُرِ قال: «ما أنزل الله عليَّ فيها إلَّا هذه الآية الفاذَّةَ الجامعة ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾» [٢].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّهُ قال: دخل رجلٌ على أهله، فلمَّا رأى ما بهم من الحاجة خرج إلى البرِّيَّةِ فلمَّا رأتِ امرأتُهُ قامتْ إلى الرَّحَى فوضعتها وإلى التَّنُّورِ فسجرته ثمَّ قالت: اللهمَّ ارزقْنا، فنظرت فإذا الجفنة قد امتلأَتْ. قال: وذهبت إلى التَّنُّور فوجدتْهُ ممتلئًا. قال: فرجعَ الزَّوْج، قال: أصبتم بعدي شيئًا؟ قالت امرأتهُ: نعم من ربِّنَا، قُمْ إلى الرَّحَى، فذكر ذلك للنَّبِيَّ ﷺ فقال: «أمَا إنَّهُ لوْ لم يرْفَعْهَا لم تزَلْ تَدُورُ إلى يوم القيَامَةِ» وشهدْتُ النَّبِيَّ ﷺ وهو يقول: «والله لأنْ يأتيَ أحدُكُمْ صبيرًا ثم يحمله يبيعه فيستعِفُّ منهُ خيرٌ لهُ من أنْ يأتي رجُلًا يسألُهُ» [٣].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال لصاحِبِ الحقِّ: «خُذْ

---

(١) استنت شرفًا أو شرفين: يعني جرت شوطًا أو شوطين فرحًا.

(٢) البخاري «الفتح» (١٣/ ٧٣٥٦)، واللفظ له، ومسلم (٩٨٧).

(٣) صحيح: أحمد (٢/ ٥١٣) رقم (١٦٦٩) واللفظ له، قال الهيثمي رحمه الله: رواه الطبراني في «الأوسط» بنحوه ورجالهم رجال الصحيح غير شيخ البزار شيخ الطبراني وهما ثقتان (١٠/ ٢٥٦- ٢٥٧).

حَقَّكَ في عفافٍ وَافٍ أَوْ غيرَ وَافٍ»[(١)].

• عن أبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه قال: سَرَّحَتْنِي أمِّي إلى رسول الله ﷺ، فأتيتُه وقعدْتُ فاستقبلني. وقال: «من استغْنَى أغْنَاهُ اللهُ عز وجل، ومنِ اسْتَعَفَّ أعَفَّهُ اللهُ عز وجل، ومن استكْفَى كفاهُ الله عز وجل ومنْ سألَ وله قيمةُ أوقِيَّةٍ، فقدْ ألْحفَ»، فقلت: ناقتي الياقُوتَهُ خيرٌ من أوقيَّةٍ فرجعْتُ ولم أسألهُ»[(٢)].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «عُرِضَ عليَّ أوَّلُ ثلاثةٍ يدخُلونَ الجنَّةَ: شَهِيدٌ وعفيفٌ مُتعفِّفٌ وعبْدٌ أحسن عبادةَ الله، ونَصَحَ لمواليهِ»[(٣)].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «قال رجلٌ لأتصدَّقنَّ الليلة بصدقَةٍ. فخرج بصدقتِهِ فوضَعَها في يَدِ زَانِيَةٍ، فأصبحُوا يتحدَّثُون: تُصُدِّقَ الليلة على زانيةٍ. قال: اللهمَّ لك الحمدُ على زانيةٍ. لأتصدَّقنَّ بصدقةٍ فخرج بصدقَتِهِ فوضعَها في يَدِ غَنِيٍّ. فأصبحُوا يتحدَّثُون: تُصُدِّقَ

---

(١) ابن ماجه (٢٤٢٢) وقال في «الزوائد»: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات على شرط مسلم. ورواه ابن حبان في «صحيحه» وذكره الألباني (٢/ ٥٤) وقال: حسن صحيح.

(٢) النسائي (٥/ ٩٨) واللفظ له وقال الألباني: حسن صحيح (٢/ ٥٤٩) (٢٤٣٢)، وأبو داود (١٦٢٨) وذكره الألباني في «الصحيح» رقم (١٤٤٠)، وذكره الهيثمي في «المجمع» وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح (٣/ ٩٥).

(٣) الترمذي (١٦٤٢) وقال: حديث حسن واللفظ له. أحمد (٢/ ٤٢٥) وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده حسن (١٨/ ١٣٧) وقال محقق «جامع الأصول» (١٠/ ٥٣٥): ورواه أيضًا الحاكم والبيهقي. والحديث كما قال الترمذي (١٠/ ٥٣٥).

على غَنيٍّ. قال: اللُهمَّ لك الحمدُ على غنيٍّ، لأتصدَّقنَّ بصدقةٍ. فخرجَ بصدقته فوضعها في يدِ سارقٍ. فاصبَحُوا يتحدَّثُون: تصدِّقَ على سارِقٍ. فقال: اللهمَّ لك الحمْدُ على زانيةٍ وعلى غنيٍّ وعلى سارقٍ. فأتي فقيل لهُ: أمَّا صدقَتُكَ فقدْ قُبِلَتْ. أمَّا الزَّانية فلعلَّها تستَعِفُّ بها عن زِناها، ولعلَّ الغنيَّ يَعتبرُ فيُنْفقُ ممَّا أعْطَاهُ اللهُ. ولعلَّ السَّارِقَ يستعفُّ بها عن سرقته»[1].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «ليْسَ المسكينُ الذي تَرُدُّهُ التمرة والتمرتانِ. ولا اللُّقمةُ ولا اللقمتان. إنَّما المسكينُ الذي يتعفَّفُ. اقرءُوا إنْ شئْتُم.. يعني: قولهُ تعالى: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾»[2].

• عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه أنَّهُ قال: إنَّ ناسًا من الأنصارِ سألُوا رسول الله ﷺ، فأعْطَاهُمْ، ثُمَّ سألوهُ فأعطاهُمْ. حتَّى إذا نفِدَ ما عندَهُ. قال: «ما يَكُنْ عنْدي من خيرٍ فلنْ أدَّخِرَهُ عنكم. ومن يستعفف يُعِفَّهُ الله، ومن يستغنِ يُغْنه اللهُ. من يتصبَّره يُصبِّرْهُ اللهُ. وما أُعطِيَ أحَدٌ من عَطَاءٍ خيرٌ وأوسعُ من الصَّبْرِ»[3].

• عن أبي أُمَامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «منْ أنفقَ على نفسِه نَفَقةً يستَعِفُّ بها فهي صدقةٌ، ومنْ أنْفقَ على امْرَأتِهِ وولدِهِ وأهْلِ بيْتِهِ فهي صدقةٌ»[4].

---

(١) البخاري «الفتح» (٣/ ١٤٢١)، ومسلم (١٠٢٢) واللفظ له.
(٢) البخاري «الفتح» (٨/ ٤٥٣٩)، واللفظ له ومسلم (١٠٣٩).
(٣) البخاري «الفتح» (٣/ ١٤٦٩)، ومسلم (١٠٥٣) واللفظ له.
(٤) قال المنذري في «الترغيب والترهيب»: رواه الطبراني بإسنادين أحدهما حسن (٣/ ٦٢).

• عن ابن عمر وعائشة رضي الله عنهما أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ طالبَ حقًّا فلْيَطْلُبْهُ في عَفافٍ وَافٍ أوْ غيْرَ وَافٍ**»[1].

• عن أبي ذَرٍّ رضي الله عنه قال: ركب رسول الله ﷺ حمارًا وأرْدفني خَلْفَهُ وقال: «**يا أبا ذَرٍّ، أرأيت أنْ أصابَ النَّاسَ جوعٌ شديدٌ لا تستطيعُ أَنْ تقُومَ من فراشكَ إلى مسجدك، كيف تصْنَعُ؟**» قال: الله ورسولهُ أعلمُ. قال: «**تَعَفَّفْ**». قال: «**يا أبا ذرٍّ! أرأيْت إنْ أصابَ الناسَ موتٌ شديدٌ يكون البيْتُ فيه بالعَبْدِ – يعني: القبْرَ – كيف تصْنَعُ؟**». قلتُ: الله ورسولُه أعلم. قال: «**اصْبِرْ**». قال: «**يا أبا ذرٍّ أرأيْت إنْ قتل النَّاسُ بعضهم بعضًا** – يعني: حتى تَغْرَقَ حجارَةُ الزَّيْتِ[2] من الدماء – **كيف تصنَعُ؟**» قال: الله ورسوله أعلم. قال: «**اقعدْ في بيتك وأغلقْ عليك بابَكَ**». قال: فإنْ لم أترك؟ قال: «**فائتِ من أنت منهُمْ فكُنْ فيهم**». قال: فآخُذُ سلاحي؟ قال: «**إذا تُشَاركُهم فيما هم فيه، لكنْ إنْ خشيتَ أن يُروعَكَ شُعَاعُ السَّيْفِ فألْقِ طَرَف ردائكَ على وجْهِكَ، حتَّى يَبُوءَ بإثْمِهِ وإثْمِكَ**»[3].

---

(١) ابن ماجه (٢٤٢١) واللفظ له وذكره الألباني وقال: صحيح (٢/ ٥٤). وذكره البخاري في «الترجمة»، وقال الحافظ: أخرجه الترمذي وابن ماجه وابن حبان (٤/ ٣٥٩).

(٢) حجارة الزيت: اسم موضع بالقرب من المدينة أحجاره لامعة.

(٣) أبو داود (٤٢٦١) وهو عند الألباني (٣/ ٨٠٣) وقال: صحيح، وابن ماجه (٣٩٥٨) وقال فيه الألباني: صحيح (٢/ ٣٥٥). والحاكم (٤/ ٤٢٤)، وأحمد (٥/ ١٤٩، ١٦٣) واللفظ له، وذكره الألباني في «إرواء الغليل» (٨/ ١٠١) رقم (٢٤٥١) وعزاه كذلك لابن حبان والبيهقي والآجري في «الشريعة» والطبراني في «الكبير».

• عن معاوية بن حيدةَ القُشَيْرِيِّ النَّيسابُورِيِّ رضي الله عنه أنَّه قال: قلتُ: يا رسول الله إنَّا قومٌ نتساءلُ أموالنا. قال: «**يتساءَلُ الرَّجُلُ في الجائِحَةِ أو الفتْقِ ليُصْلِحَ به بيْنَ قومِهِ، فإذا بلَغَ أو كَرَبَ اسْتَعَفَّ**»[1].

• عن كعبِ بن عُجرة رضي الله عنه أنَّه قال: مرَّ على النَّبِيِّ ﷺ رجلٌ، فرأى أصحابُ رسول الله ﷺ من جلدِه ونشاطِهِ. فقالوا يا رسول الله! لو كان هذا في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «**إنْ كان خَرَجَ يَسْعَى على وَلَدِهِ**[2] **صغارًا فهو في سبيل الله، وإنْ كان خرجَ يسْعَى على أبوين شيخين كبيرَيْنِ فهُوَ في سَبِيلِ الله، وإنْ كان خرَجَ يَسْعَى على نفسه يُعِفُّها فهو في سبيل الله، وإنْ كان خرَجَ يسعى رِيَاءً ومُفاخَرَةً فهو في سبيلِ الشَّيْطَانِ**»[3].

• عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال وهو على المنبر، وهو يذكرُ الصدقَةَ والتَّعفُّفَ عن المسألة: «**اليدُ العُليا خيرٌ من اليد**

---

(١) أحمد (٥/ ٣) وقال الهيثمي في «المجمع»: رواه أحمد ورجاله ثقات (٣/ ٩٩-١١٠٠) ومعنىٰ قوله: «كرب» أي: قارب وأوشك.

(٢) الوَلَد والوُلْد -بضم أوله- ما وُلد، وهو يقع علىٰ الواحد والجمع والذكر والأنثىٰ، وقد جمعوا فقالوا: أولاد ووِلْدَة والدة وإلدة، وقد يجوز أن يكون الوُلْد جمع وَلَد كوُثْن جمع وَثَن.

(٣) رواه الطبراني في «الكبير» (١٩/ ١٢٩) وقال مخرجه: هو في «الأوسط» و«الصغير» وذكره الحافظ الدمياطي في «المتجر الرابح» وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح (٦٣٣). وذكره المنذري في «الترغيب والترهيب» وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح (٣/ ٦٣) واللفظ له. وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» وقال: رواه الطبراني في الثلاثة ورجال الكبير رجال الصحيح (٤/ ٣٢٥).

السُّفْلى، واليدُ العليا المنفقةُ، والسُّفلى السَّائِلة»(١).

• عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما أَنَّه قال: قال رسول الله ﷺ: «**استَغْنُوا عَنِ النَّاسِ، ومَا قَلَّ مِنَ السُّؤَالِ فَهْوَ خيْرٌ**». قالوا: ومِنْكَ يا رسول الله؟ قال: «**وَمِنِّي**»(٢).

• عن عُبادة بن الصَّامت رضي الله عنه أَنَّه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اضْمَنُوا لي سِتًّا منْ أنفُسِكُمْ أَضْمَنْ لكُمُ الجَنَّةَ: أَصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وأوْفُوا إذا وعَدْتُمْ، وأَدُّوا إذا ائْتُمِنتُّمْ، واحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وكُفُّوا أيديَكُمْ**»(٣).

• عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ ذات يوم ونحن عندهُ: «**طُوبَى للغُرَبَاءِ**». فقيل: من الغُرباءُ يا رسول الله؟ قال: «**أُنَاسٌ صَالِحُونَ فِي أُنَاسِ سُوءٍ كثيرٍ، منْ يعصِيهِمْ أكثرُ مِمَّنْ يُطِيعُهُمْ**».

---

(١) البخاري «الفتح» (٣/ ١٤٢٩)، ومسلم (١٠٣٣) واللفظ له.

(٢) الطبراني في «الكبير» ولفظه: «استغنوا عن الناس ولو بشوص السواك» (١١/ ٤٤٤). قال العراقي في «تخريج الأحياء» أخرجه البزار والطبراني وإسناده صحيح (٤/ ٢١١). وذكره الهيثمي في «المجمع» (٣/ ٩٤) وقال: رواه البزار والطبراني في «الكبير»، ورجاله ثقات.

(٣) أحمد (٥/ ٣٢٣) واللفظ له، وذكره الدمياطي في «المتجر الرابح» وقال: رواه أحمد وابن حبان والحاكم وقال: صحيح الإسناد (٦٤٥). وذكره المنذري في «الترغيب والترهيب»، وقال: رواه أحمد وابن حبان في «صحيحه» والحاكم، وقال الحاكم: صحيح الإسناد (٣/ ٣٥). وذكره الألباني في «صحيح الجامع» (١/ ٣٣٩) رقم (١٠٢٩) وقال: حسن وفي «الصحيحة» (٣/ ٤٥٤) رقم (١٤٧٠) وعزاه هناك أيضًا لابن خزيمة والخرائطي في «المكارم» والطبراني والبيهقي في «الشعب».

قال: وكنَّا عند رسول الله ﷺ يومًا آخر حين طلعت الشمسُ، فقال رسول الله ﷺ: «**سَيَأْتِي أُنَاسٌ مِنْ أُمَّتِي يوْمَ القيامَةِ نُورُهمْ كَضَوْءِ الشَّمْسِ**». قلنا: من أولئك يا رسول الله؟ فقال: «**فُقَرَاءُ المهاجرينَ الذين تُتَّقَى بهمُ المكَارِهُ، يَمُوتُ أحَدُهُمْ وحَاجَتُهُ فِي صَدْرِه، يُحْشَرُونَ مِنْ أَقْطَارِ الأرضِ**»[1].

• عن عوف بن مالكٍ الأشجعيِّ رضي الله عنه أنَّهُ قال: كنَّا عند رسول الله ﷺ، تسعةً أو ثمانيةً أو سبعةً، فقال: «**ألا تُبَايِعُونَ رسولَ الله؟**»، وكُنَّا حديثَ عهْدٍ ببيْعَةٍ. فقلنا: قد بايعْنَاكَ يا رسول الله. ثُمَّ قال: «**ألا تُبَايعُونَ رسولَ الله؟**». قال: فَبَسطْنَا أيْدِينا وقُلْنا: قد بايعْنَاكَ يا رسول الله. فعلامَ نُبَايِعُكَ؟. قال: «**على أَنْ تَعْبُدُوا الله ولا تُشْرِكُوا بِهِ شيئًا. والصَّلَواتِ الخَمْسِ. وتُطِيعُوا – وَأَسَرَّ كَلمَةً خَفِيَّةً – ولا تسْأَلُوا النَّاسَ شيئًا**». فلقَدْ رَأَيْتَ بَعْضَ أولئكَ النَّفَرِ يَسْقُطُ سَوْطُ أحَدِهِمْ. فما يَسْأَلُ أحَدًا يُنَاوِلُهُ إيَّاهُ[2].

عن عبد الرَّحمن بن عوفٍ رضي الله عنه أنَّهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذَا صَلَّتِ المرأةُ خَمسَهَا، وصامَتْ شَهْرَها، وحَفِظتْ فرْجَها، وأطاعَتْ زَوْجها، قيل لها: ادْخُلي الجَنَّةَ مِنْ أيِّ أَبْوَابِ الجنَّة شِئْتِ**»[3].

---

(١) أحمد (٢/ ١٧٧) واللفظ له، وقال شاكر: إسناده صحيح (١٠/ ١٣٦). وقال في «المجمع» (١٠/ ٢٥٨، ٢٥٩): رواه أحمد والطبراني في «الأوسط» و«الكبير» وله في «الكبير» أسانيد ورجال أحدها رجال «الصحيح».

(٢) مسلم (١٠٤٣)، وأبو داود (١٦٢٦)، والنسائي (١/ ٢٢٩)، وابن ماجه (٢٨٦٧)، وأحمد (٦/ ٣٧).

(٣) أحمد (١/ ١٩١) واللفظ له. وذكره المنذري في «الترغيب والترهيب» وقال: =

• عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «بينما ثلاثةُ نفَرٍ يتمشَّونَ أخذَهُم المطَرُ. فأوَوْا إلى غَارٍ في جَبلٍ فانْحَطَّتْ على فم غارهم صخرةٌ من الجبل. فانطبقَتْ عليهم. فقال بعضهم لبعضٍ: انظروا أعمالًا عملتُمُوهَا صالحةً لله، فادْعُوا الله تعالى بها، لعلَّ الله يفْرِجُها عنكم. فقال أحدهم: اللهمَّ إنَّهُ كان لي والدانِ شيْخَانِ كبيرانِ، وامرأتي، ولي صبْيَةٌ صغارٌ أرْعَى عليهم، فإذا أرحْتُ عليهم [١]، حَلَبْتُ، فبدأتُ بوالديَّ فسقيْتُهُم قبل بنيَّ، وإنَّهُ نأَى بي ذَاتَ يوم الشجرُ [٢]، فلم آتِ حتى أمسيتُ فوجدْتُهما قدْ ناما، فحلبْتُ كما كنت أحْلِبُ، فجئتُ بالحِلابِ، فقُمْتُ عند رؤوسهما، أكرَهُ أن أوقِظَهُما من نومهما، وأكْرَهُ أن أسْقِيَ الصِّبْيَةَ قبْلَهُمَا، والصبيةُ يتضَاغَوْنَ [٣] عند قدميَّ، فلم يزلْ ذلك دَأْبِي ودأْبُهُمْ [٤] حتَّى طلع الفجرُ. فإن كنت تعلمُ أنِّي فعلْتُ ذلك ابتغاءَ وجْهِكَ فافرج لنا منها فُرْجَةً، نرى منها السَّماء، ففرجَ اللهُ منها فُرْجَةً، فرأوْا منها السماء وقال الآخر: اللهمَّ إنَّهُ كانت لي ابنه عمٍّ أحببتها كأشد ما يحبُّ الرجالُ النساء، وطلبتُ

رواه أحمد والطبراني، ورواة أحمد رواة «الصحيح» خلا بن لهيعة وحديثه حسن في «المتابعات» (٣/ ٥٢) وكذا الدمياطي في «المتجر الرابح» وعزاه لابن حبان (٤٩٣). وذكره الألباني في «صحيح الجامع» (١/ ٢٤٠) رقم (٦٧٣، ٦٧٤). وكذا في «آداب الزفاف» وقال: حسن أو صحيح (٢٨٢).

(١) فإذا أرحت عليهم: أي: إذا رددت الماشية من المرعىٰ إليهم، وإلىٰ موضع مبيتها، وهو مراحها. يقال: أرحت الماشية وروحتها، بمعنىٰ.

(٢) نأىٰ بي ذات يوم الشجر: ومعناه بَعُد. والنأي البعد.

(٣) يتضاغون: أي: يصيحون ويستغيثون من الجوع.

(٤) فلم يزل ذلك دأبي: أي حالي اللازمة.

إليها نفسها. فأبت حتى آتيها بمئةِ دينارٍ. فتعبْتُ حتَّى جمعْتُ مئة دينارٍ، فجئتُها بها، فلمَّا وقعْتُ بين رجليها، قالت: يا عبد الله، اتَّقِ الله، ولا تفتَح الخاتمَ إلَّا بحقِّهِ. فقُمْتُ عنها. فإن كنت تعلمُ أنِّ فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهِكَ، فافرج لنا منها فرجةً، ففرج لهم. وقال الآخر: اللهم إني كنت استأجَرْتُ أجيرًا بفرق أُرُزٍّ [1]، فلمَّا قَضى عملَهُ قال أعْطني حَقِّي، فعرضْتُ عليه فرقَهُ فرغبَ عنه. فلم أَزَلْ أَزْرَعُهُ حتى جمعتُ منه بقرًا ورعاءها، فجاءني فقال: اتَّقِ الله ولا تظلمني حَقِّي. قلت: اذهب إلى تلك البقر ورِعاءَها، فخذها فقال: اتق الله ولا تستهزئ بي قلتُ: إنِّي لا استهزئُ بك. خذْ ذلك البقر ورعاءها. فأخذه فذهبَ به. فإنْ كنتَ تعلمُ أني فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهكَ، فافرجْ لنا ما بَقِيَ. ففرجَ اللهُ مَا بَقِيَ»[2].

• عن معاوية بن حيدةَ رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثةٌ لا تَرى أعينُهُمُ النَّارَ: عَيْنٌ حَرَسَتْ في سبيل الله، وعينٌ بكتْ من خشيةِ الله، وعينٌ كَفَّتْ عَنْ مَحَارِمِ الله»[3].

• عن عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه أنَّه قال: قد كان رسول الله ﷺ يُعْطيني العطاء، فأقولُ: أعْطِهِ أفقَرَ منِّي. حتَّى أعطَاني مَرَّةً مالًا. فقلتُ: أعْطِيه أفْقَرَ

---

(١) بفَرق: بفتح الراء وإسكانها، لغتان، الفتح أجود وأشهر. وهو إناء يسع ثلاثة آصع.

(٢) البخاري «الفتح» (٦/ ٣٤٦٥)، ومسلم (٢٧٤٣) واللفظ له.

(٣) ذكره الدمياطي في «المتجر الرابح» (١٨٨٧) وقال: رواه الطبراني ولا بأس بإسناده إن شاء الله.

منِّي. فقال رسول الله ﷺ: «خُذْهُ وما جَاءكَ منْ هذا المالِ وأنْتَ غيرُ مُشْرِفٍ، ولا سائلٍ فخُذْهُ، ومَا لا، فلا تُتْبِعْهُ نفسكَ»(١).

• عن حكيم بن حِزَام رضي الله عنه أنه قال: سألتُ النَّبيَّ ﷺ فأعْطَاني ثم سألتُهُ فأعْطاني، ثمَّ سأَلْتُهُ فأَعْطَاني، ثُمَّ قال: «إنَّ هذا المَالَ خَضِرَةٌ حُلوةٌ، فمَنْ أخذَهُ بطيبِ نَفْسٍ بُورِكَ لهُ فيه، ومنْ أخذَهُ بإشْرافِ نفْسٍ(٢) لم يُبَارَكْ لهُ فيهِ، وكان كالذَّي يأكُلُ ولا يَشْبَعُ، واليَدُ العُلْيَا خيرٌ من اليَدِ السُّفْلَى»(٣).

• عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهمُ الله في ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّهُ: الإمامُ العَادِلُ، وشَابٌّ نَشَأَ في عِبَادَةِ الله عز وجل، ورَجُلٌ قلبُهُ مُعلَّقٌ في المساجِدِ، ورَجُلانِ تحابَّا في الله اجْتَمعا عليه وتفرَّقا عليه، ورجُلٌ دعتْهُ امْرأةٌ ذات منْصبٍ وجمالٍ، فقال: إني أخافُ الله، ورجُلٌ تصدَّق بصدقةٍ فأخْفَاها حتى لا تعلم شمالُه ما تُنْفِقُ يمينُه، ورجُلٌ ذكرَ الله خاليًا ففاضَتْ عيْناهُ»(٤).

• عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أسلمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا وقَنَّعَهُ الله بما آتاهُ»(٥).

• عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمِعْتُ رسول الله ﷺ يُحَدِّثُ حديثًا لو لم

---

(١) البخاري «الفتح» (١٣/ ٧١٦٤)، ومسلم (١٠٤٥) اللفظ له.

(٢) بإشراف نفس: أي: بتطلُّع وطمع فيه.

(٣) البخاري «الفتح» (٣/ ١٤٧٢)، ومسلم (١٠٣٥) واللفظ له، وفيه عند الطبراني: ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله. وقال الهيثمي في «المجمع»: رواه الطبراني في «الكبير» ورجاله رجال «الصحيح» (٣/ ٩٨).

(٤) البخاري «الفتح» (٣/ ١٤٢٣)، ومسلم (١٠٣١) واللفظ له.

(٥) مسلم (١٠٥٤).

أسمعهُ إلَّا مرَّةً أو مرَّتيْنِ حتَّى عَدَّ سَبْعَ مرَّاتٍ ما حدَّثتُ به، ولكن سمعْتُهُ أكثرَ من ذلك، سمعْتُ رسول الله ﷺ يقولُ: «**كان الكِفْلُ**[١] **من بني إسرائيل لا يتوَرَّعُ من ذَنْبٍ عَمِلَهُ، فأتتْهُ امْرأةٌ فأعْطَاها ستِّينَ دينارًا على أنْ يطأَها، فلما أرَادَها على نفْسِهَا ارْتعدتْ وبكتْ. فقال: ما يُبْكِيكِ؟ قالت: لأنَّ هذا عملٌ ما عملته، وما حملني عليه إلَّا الحاجةُ. فقال: تفْعلين أنتِ هذا من مخافة الله تعالى، فأنا أحْرى، اذْهبي فلك ما أعطيْتُكِ، ووالله لا أعْصيه بعدها أبدًا، فمات من ليلته فأصْبح مكتُوبًا على بابه: إنَّ الله قد غفر للكِفْلِ. فعجب الناسُ من ذلك**»[٢].

• عن أبي هريرة ﷺ أنَّهُ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ قال: «**لأنْ يَغْدُو أحدُكُمْ فيحْطِبَ على ظهْرِهِ فيتصدَّقَ به، ويستغني به من الناسِ خيرٌ له منْ أنْ يسألَ رجُلًا أعْطَاهُ أو منعَهُ ذلك، فإنَّ اليد العليا أفضلُ من اليدِ السُّفْلى، وابْدأْ بمنْ تعُولُ**»[٣].

• عن أبي هريرة ﷺ أنَّهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَيْسَ الغنَى عنْ كثْرَةِ العرَضِ، ولكنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ**»[٤].

---

(١) وهو غير نبيِّ الله «ذي الكِفْل».

(٢) الترمذي (٢٤٩٦) وقال: هذا حديث حسن، وأحمد (٢/ ٢٣) وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح (٦/ ٣٣٤) رقم (٤٧٤٧). والحاكم (٤/ ٢٥٤-٢٥٥) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وذكره الحافظ الدمياطي في «المتجر الرابح» (٤٩١، ٤٩٢) واللفظ له، وعزاه للترمذي ونقل تحسينه وكذا ابن حبان والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

(٣) مسلم (١٠٤٢) وأخرجه البخاري نحوه من حديث الزبير ابن العوام (٣/ ١٤٧١).

(٤) البخاري «الفتح» (١/ ٦٤٤٦)، ومسلم (١٠٥١).

• عن ابن مسعُودٍ رضي الله عنه أنَّهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أَصَابَتْهُ فاقةٌ فأنزلها بالنَّاسِ لمْ تُسَدَّ فاقَتُهُ، ومنْ أنْزَلها بالله أوْشَكَ اللهُ لهُ بالغِنَى، إمَّا بموتٍ عاجلٍ أوْ غِنًى عَاجِلٍ**»[١].

• عن سهل بن سعدٍ رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ يَضْمَنْ لي ما بين لحيَيْهِ وما بين رجليْهِ أضْمَنْ له الجنَّة**»[٢].

• عن رجلٍ من بني أسدٍ رضي الله عنه أنَّه قال: نزلت أنا وأهْلي ببقيع الغرْقَدِ فقالت لي أهلي: اذهبْ إلى رسول الله ﷺ فسَلْهُ لنا شيئًا نأكُلُهُ، فذهبْتُ إلى رسول الله ﷺ فوجدْتُ عندَهُ رجُلًا يسألُهُ ورسول الله ﷺ يقولُ: «**لا أَجِدُ ما أُعْطِيكَ**»، فولَّى الرَّجُلُ عنه، وهو مغضبٌ وهو يقولُ: لعمري إنَّكَ لتُعْطي من شِئْتَ. قال رسول الله ﷺ: «**إنَّه ليَغْضَبُ عليَّ أنْ لا أجدَ ما أُعطيهِ، من سأَلَ منكُمْ وله أُوقيَّةٌ أو عدْلُها فقد سأل إلحافًا**» قال الأسديُّ: فقلت: للقحَةٌ لنا خيرٌ من أُوقيَّةٍ – والأوقيَّةُ أربعون درهمًا. فرجعتُ ولم أسله – فقدم على رسول الله ﷺ بعد ذلك شَعِيرٌ وزبيبٌ فقسم لنا منهُ حتَّى أغنانا الله عز وجل»[٣].

• عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه أنَّ رجُلًا من الأنصار أتى النَّبِيَّ ﷺ سألَهُ،

---

(١) أبو داود (١٦٥٤) واللفظ له، وقال الألباني: صحيح (١/ ٣١٠)، والترمذي (٢٣٢٦٩ وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، وأحمد (١/ ٣٨٩)، ورواه أحمد في «المسند» رقم (٣٦٩٦) و(٣٩٨٦) وقال محققه الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٢) البخاري «الفتح» (١١/ ٦٤٧٤).

(٣) النسائي (٥/ ٩٨- ٩٩) واللفظ له، وقال الألباني: صحيح (٢/ ٥٤٩- ٥٥٠)، وأبو داود (١٦٢٧) وقال الألباني: صحيح رقم (١٤٣٣).

فقال: «**أما في بيتكَ شيءٌ؟**». قال: بلى. حِلْسٌ نلبس بعضه ويبسط بعضهُ وقَعْبٌ نشربُ فيه من المَاء. قال: «**ائتِني بهما**»، فأَتَاهُ بهمَا، فأخذهما رسول الله ﷺ بيده، وقال: «**مَنْ يَشْتِري هَذَيْنِ**». قال رجُلٌ: أنا آخذهُما بدرهم، قال: «**مَنْ يَزِيدُ على درْهم؟**» مرَّتين أو ثلاثًا، قال رجلٌ: أنا آخذهما بردهمين فأعطاهما إيَّاهُ، وأخذ الدِّرهمين وأعطاهما الأنصاريَّ، وقال: «**اشْتَرِ بأحَدِهما طعامًا فانبِذْهُ إلى أهلكَ، واشْتَرِ بالآخَرِ قَدُومًا فَأْتِني به**»، فأتاهُ به، فشدَّ فيه رسول الله ﷺ عُودًا بيدِهِ، ثم قال له: «**اذهَبْ فاحْتَطِبْ وَبعْ، ولا أَرَيَنَّكَ خَمْسَةَ عشَرَ يَوْمًا**». فذهب الرجل يحتطبُ ويبيعُ، فجاءَ وقدْ أصابَ عشرةَ دراهِمَ، فاشْتَرَى ببعضها ثوْبًا وببعضها طعامًا، فقال رسول الله ﷺ: «**هذا خيرٌ لك مِنْ أنْ تَجِيءَ المسألةُ نُكْتَةً في وجْهِكَ يوم القيامة، إنَّ المسألة لا تصلُحُ إلَّا لثلاثةٍ: لذي فَقْرٍ مُدْقعٍ، أو لذي غُرْمٍ مُفْظعٍ، أو لذي دَمٍ مُوجعٍ**»[1].

• روي أنَّ عثمَان رضي الله عنه أشْرَفَ على الذين حاصَروهُ في الدَّارِ فسلَّمَ عليهم فلم يرُدُّوا عليه فقال عثمَان رضي الله عنه: أفي القوم طلحةُ؟ قال طلحةُ: نعمْ. قال: فإنَّا لله وإنَّا إليهِ راجعُونَ. أسلِّمُ على قومٍ أنت فيهم فلا ترُدُّون. قال: قدْ رددتُ. قال: ما هكذا الرَّدُّ. أُسْمِعُكَ ولَا تُسْمِعُني؟ يا طلحةُ! أنشدُكَ الله، أسمِعْتَ النَّبيَّ ﷺ يقولُ: «**لا يُحِلُّ دَمَ المسلمِ إلَّا واحدةٌ من ثلاثٍ أَنْ يكْفُرَ بعدَ إيمانِهِ، أو يزْنِيَ بعْدَ إحْصَانِهِ، أو يقتُلَ نفسًا فيُقْتَل بها**». قال: اللهمَّ نعمْ. فكبَّرَ عثمَانُ فقال: والله ما أنْكرتُ الله منذ عرفته ولا

---

(١) أبو داود (١٦٤١) واللفظ له، وابن ماجه (٢١٩٨)، والترمذي (١٢١٨) وقال: «حسن».

زنيتُ في جاهليَّةٍ ولا إسلامٍ، وقد تركته في الجاهلية تكرُّهًا، وفي الإسلام تعفُّفًا وما قتلتُ نفسًا يحلُّ بها قتلي»(١).

• عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنَّهُ قال: **«إني لأنْقَلِبُ إلى أهلي فأجِدُ التمرة ساقطةً على فراشي، ثُمَّ أرْفعُهَا لآكلها ثمَّ أخْشَى أن تكونَ صدقةً أُلْقِيَهَا»**(٢).

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّه قال: أخذ الحسن بن عليٍّ تمرةً من تمْرِ الصدقة فجعلها في فيه فقال رسول الله ﷺ: **«كَخْ كَخْ، ارْمِ بها، أما علمْتَ أنَّا لا نأْكُلُ الصَّدَقَةَ»**(٣).

• عن أنسِ بن مالكٍ رضي الله عنه أنَّهُ قال: مرَّ النَّبِيُّ ﷺ بتمرةٍ في الطريق قال: **«لولا أنِّي أخَافُ أنْ تكُونَ من الصَّدَقَةِ لأكَلْتُهَا»**(٤).

• عن فضالة بن عُبيد رضي الله عنه أنه سَمِع رسولَ الله ﷺ يقول: **«طُوبى لِمَن هُدِيَ إلى الإسلام، وكان عيشُهُ كفافًا وقنِعَ به»**(٥).

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يا أبا هُرَيرة كُنْ**

---

(١) أحمد (١/ ١٦٣) ورواه مختصرًا وله طرق يصح بها. انظر: نسخة الشيخ أحمد شاكر برقم (٥٠٩).

(٢) البخاري «الفتح» (٥/ ٢٤٣٢)، ومسلم (١٠٧٠) واللفظ له.

(٣) البخاري «الفتح» (٣/ ١٤٩١)، ومسلم (١٠٦٩) واللفظ له.

(٤) البخاري «الفتح» (٥/ ٢٤٣١) واللفظ له، ومسلم (١٧١).

(٥) صحيح: رواه الترمذي (٢٣٤٩) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن حبان، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٣٥)، وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٩٣١)، و«الصحيحة» (١٥٠٦)، و«صحيح الترغيب» (٨٢٣).

وَرِعًا تكُن مِن أعبد الناس، وارضَ بما قسم الله لك تكن من أغنى الناس، وأحبَّ للمسلمين والمؤمنين ما تحبُّ لنفسِكَ وأهل بيتكَ، واكره لهم ما تكره لنفسك وأهل بيتك تكن مؤمنًا، وجاور مَن جاورت بإحسان تكن مسلمًـا، وإيَّاكَ وكثرة الضحك؛ فإنَّ كثرةَ الضَّحِكِ فسادُ القلب»[1].

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا هريرة، كُن وَرِعًا تَكُن أعبدَ الناسِ، وكُنْ قَنِعًا تكن أشْكر الناسِ، وأَحِبَّ للناسِ ما تُحِبُّ لنفِسكَ تكن مُؤمِنًا، وأحْسِنْ جوارَ مَن جاوَرَك تَكُنْ مُسْلِمًـا، وأَقِلَّ الضَّحِكَ، فَإِنَّ كثرة الضَّحِكَ تميتُ القلبَ»[2].

لله درُّ عطاء بن يسار.. ما أجملَ وأكملَ عِفَّته!!:

«خرج رحمه الله وأخوه سليمانُ بن يسار حاجَّينِ من المدينة ومعهما أصحابٌ لهم، حتى إذا كانوا بالأبواء نزلوا منزلًا، فانطلق سليمانُ وأصحابُه لبعض حاجتهم، وبَقِي عطاءُ بنُ يسار قائمًا في المنزل يُصلِّي، فدخلت عليه امرأةٌ من الأعراب جميلة، فلما رآها ظنَّ أن لها حاجةً، فأوجز في صلاته، ثم قال: ألكِ حاجة؟ قالت: نعم.

قال: ما هي؟ قالت: قُم فأَصِبْ مني، فإني قد ودِقت[3] ولا بَعلَ لي، فقال: إليك عني، لا تُحرقيني ونفسَكِ بالنار.. ونظر إلى امرأةٍ جميلة،

---

(١) حسن: رواه ابن ماجه عن أبي هريرة، وحسَّنه الألباني في «الصحيحة» (٩٢٧)، و«صحيح الجامع» (٧٨٣٣).

(٢) حسن: رواه ابن ماجه (٤٢١٧) واللفظ له، والمنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٥٦٠) وقال: رواه ابن ماجه والبيهقي في «الزهد الكبير». وقال البوصيري في «الزوائد»: «إسناده حسن».

(٣) وَدِقَتْ: أرادت الفحل.

فجعلت تراودُه عن نفسه وتأبى إلَّا ما تريدُ، فجعل عطاءٌ يبكي، ويقول: ويحك إليكِ عني إليك عني، واشتد بكاؤُه.. فلما نظرت المرأةُ إليه وما داخله من البكاء والجزع بكت المرأةُ لبكائه، فجعل يبكي والمرأةُ بين يَديه تبكي.

فبينما هو كذلك إذ جاء سليمانُ من حاجته، فلما نظر إلى عطاءٍ والمرأةُ بين يديه تبكي، جَلس يبكي في ناحيةِ البيت لبكائهما، ولا يدري ما أبكاهما! وجعل أصحابُهما يأتون رجلًا رجلًا كلما أتى رجل فرآهم يبكون جلس يبكي لبكائهم لا يسألونهم عن أمرهم، حتى كثُر البكاء وعلا الصوت، فلما رأت الأعرابيةُ ذلك، قامت فخرجت، وقام القومُ فدخلوا، فلبث سليمانُ بعد ذلك وهو لا يسألُ أخاه عن قصةِ المرأة إجلالًا له وهَيْبةً، وكان أسنَّ منه، ثم إنهما قدِما مصرَ لبعض حاجتهما، فلبثا بها ما شاء الله، فبينا عطاءٌ ذاتَ ليلةٍ نائم، إذا استيقظ وهو يبكي!.

فقال له سليمان: ما يُبكيك يا أخي؟! فاشتد بكاؤه قال: ما يُبكيك يا أخي؟!.

قال: رؤيا رأيتُها الليلة قال: ما هي؟ قال: لا تُخبِرْ بها أحدًا ما دُمتُ حيًّا، قال: وما ذاك؟

قال: رأيتُ يوسفَ النبيَّ ﷺ، فجئتُ أنظرُ إليه فيمن يَنظرُ، فلما رأيتُ حُسنَه بكيتُ! فنظر إليَّ في الناس فقال: ما يُبكيك أيها الرجل؟ قلت: بأبي أنت وأمي ذكرتُك وامرأةَ العزيز وما ابتُليتَ به من أمرِها، وما لَقِيتَ من السِّجن وفُرقةِ الشيخ يعقوب ﷺ فبكيتُ من ذلك، وجعلتُ أتعجَّبُ منه، فقال ﷺ: «فهلّا تعجَّبتَ من صاحبِ المرأة بالأبواء؟

فعرفتُ الذي أراد فبكيت، واستيقظتُ باكيًا.

قال سليمانُ: يا أخي! وما كان حال تلك المرأة؟.

قال: فقصَّ عليه عطاءٌ القصةَ، فما أخبر سليمانُ بها أحدًا حتى مات عطاء وحَدَّث بها بعده امرأةً من أهله، وما شاع هذا الحديثُ بالمدينة إلَّا بعد موتِ سليمانَ بنِ يسار»[(١)].

تَغيَّرَ الرجالُ وذَهبَ العفافُ:

□ قال بعض المدنيين: «كان الرجلُ يُحبُّ الفتاة فيُطِيفُ بدارها حَوْلًا يفرحُ إنْ رأى مَن رآها، فإن ظَفِر منها بمجلس تشاكيَا وتناشدَا الأشعار، واليومَ يشيرُ إليها وتشيرُ إليه، فيَعِدُها وتعِدُه، فإذا التقيا لم يَشْكُ حبًّا ولم يُنشِد شعرًا، وقام إليها كأنه قد أشهدَ على نكاحها أبا هريرة!! فهذا جميلُ بُثينة -ولا نرضى والله عن طريقته- دخل عليه عَيَّاشُ بن سهلٍ الساعديُّ وهو يجودُ بنفسه وسأله عن تشبيبه ببثينةَ منذ عشرين سنة؟!.

فقال: هذا آخرُ وقتٍ من أوقات الدنيا، وأولُ وقتٍ من أوقات الآخرة، فلا نالتني شفاعةُ محمدٍ ﷺ إن كنتُ وضعتُ يدي عليها لرِيبةٍ قط، وإن كان أكثرُ ما نِلتُ منها إلَّا أني كنتُ آخذُ يدَها[(٢)]، فأضعُها على قلبي فأستريحُ إليها»[(٣)].

□ وعُمر بن أبي ربيعة، كبيرُ شعراءِ الغزل، لمَّا مرِض مَرَض الموت،

---

(١) «الرقة والبكاء» (ص١٩٨- ٢٠٠)، و«صفة الصفوة» (٢/ ٨٢- ٨٤).

(٢) وهذا لا يجوز له.. وانظر رسالة شيخنا المقدم «أدلة تحريم مصافحة المرأة الأجنبية».

(٣) «ذم الهوىٰ» (٢٢٢- ٢٢٣).

أَسِف عليه أخوه الحارث، فقال له عمرُ: «يا أخي، إن كان أَسَفُكَ لما سمعت من قولي: «قلت لها، وقالت لي»، فكلُّ مملوكٍ له حرٌّ إنْ كان كشف فَرْجًا حرامًا قط، فقال الحارث: الحمدُ لله، طيَّبتَ نفسي».

وليلى الأخيلية، قالت لعبدِ الملك بن مروان عن «تَوبة»: «والذي ذهب بنفسه، ما كلَّمني بسوءٍ قط، حتى فرَّق بيني وبينه الموت».

إن كان هذا عفاف أهل الجاهلية، فكيف بالإسلام؟:

□ عن عَبيدةَ السَّلْمانيِّ قال: «كان في الجاهلية أَخَوانِ من حيٍّ يُدْعَون «بني كُنَّة»، أحدُهما متزوِّجٌ والآخر أعزَبُ، فُقضِيَ أن المتزوجَ خرج في بعضِ ما يخرج الناسُ فيه، وبقي الآخرُ مع امرأةِ أخيه.

فخرجت ذاتَ يومٍ حاسرةً، فإذا هي أحسنُ الناس وجهًا وأحسنُ الناس شَعْرًا، فلمَّا علِمت أنَّه قد رآها وَلْوَلَتْ وصاحت، وقالت بِمَعصمِها، فغطَّت وجهَها، فزاده ذلك فتنةً، فحَمَل الشَّوقَ على بدنه، حتى لم يَبق إلَّا رأسُه وعيناه يدوران في رأسه، وقَدِم الأخ فقال: يا أخي، ما الذي أرى بك؟ فاعتلَّ عليه، فقال: الشُّوصَة -قال الشوصة تسميها العرب اللّوى وذات الجنب-، فقال له ابنُ عمٍّ له: لا تكذِبَنَّه، ابعث إلى الحارث ابن كلدة، فإنه من أطبِّ العرب، فجِئ به، فلَمَس عُروقَه، فإذا ساكنُها ساكنٌ وضارُبها ضارب، فقال: ما بأخيك إلَّا العشقُ، فقال: سبحان الله تقول هذا لرجلٍ ميت! قال: هو ذا، هل عندكم شيءٌ من الشراب؟ فجيء به ودعا بِمُسْعُطٍ فصبَّ فيه، وحَلَّ صُرَّةً من صُرارهِ فذَرَّهُ فيه ثم سقاه، ثم سقاه الثانية، ثم سقاه الثالثة، فانتشى يغنِّي سَكَرًا فقال:

أَلـمَّا بـي علـى الأبيـا ... تِ مـن خيـفِ أَزُرْهُنَّـهْ

غـزالًا مـا رأيـتُ اليـو ... مَ في دُور بنـــي كُنَّــهْ
غــزالًا أحــورُ العـين ... وفي منطقِــه غُنَّــهْ

فقال الرجل: دُور قومِنا!! فليت شعري مَن؟.

فقال الحارث: ليس فيه مستمعٌ غير هذا اليوم، ولكن أغدو عليكم من الغد، ففعل كفِعله بالأمس، فانتشى يُغنِّي سَكَرًا، وكانت امرأةُ أخيه اسمها «ريًّا» فقال:

أيُّهــا الحــيُّ اســلَموا ... كــي تُحيَّــوا وتــسلَمُوا
خَرَجَتْ مُزْنَةٌ من البحـ ... ـــر ريَّــا تُحُمحِـــمُ
هـــي مـــا كَنَّتـــي [(١)] ... وتــزعُم أني لهــا حمــو

فقال الرجل لمن حضر: فأُشهدكم أنها طالقٌ ثالثًا ليرجعَ إلى أخي فؤاده، فإن المرأة توجَدُ والأخ لا يوجد، فجاء الناس يَسْعَوْنَ: هنيئًا لك أبا فلان، فإن فلانًا قد نزل لك عن فلانة.

فقال لِمَن حضر: أُشهدكم أنَّها عليَّ مثلُ أمي إن تزوجتُها.

□ قال عَبيدة: «ما أدري أيُّ الرجلين أكرم؟ الأول أم الآخر؟!».

أهلُ العفاف أهل الحياء، فاقرأ طَيّبَ أخبارِهم:

«ما لي ولعُبيدِ بن عُمير، أفسدَ عليَّ امرأتي، كانت في كلِّ ليلةٍ عروسًا، فصيَّرها راهبة»:

□ قال عبد الله بن مسلم العِجْلي: «كانت امرأةٌ جميلة بمكة، وكان لها زوج، فنَظَرَتْ يومًا إلى وجهها في المرآة، فقالت لزوجها: أترى أحدًا يرى

(١) الكنَّة: بفتح الكاف امرأة الابن أو الأخ.

هذا الوجه لا يُفتَنُ به؟ قال: نعم.

قالت: مَن؟ قال: عَبيد بن عُمير.

قالت: فائذن لي فيه فلأَفتِننَّه، قال: أذنتُ لكِ(١).

قال: فأتته كالمُستفتية، فخَلا معها في ناحيةٍ من المسجد الحرام، قال: فأسفرَتْ عن مثل فلقةِ القمر، فقال لها: يا أمةَ الله! قالت: إني قد فُتنتُ بكَ فانظر في أمري.

قال: إني سائلُكِ عن شيءٍ، فإن أنتِ صَدَقْتِني نظرتُ في أمرك.

قالت: لا تسألْني عن شيءٍ إلَّا صدقتُكَ.

قال: أخبريني، لو أن ملكَ الموتِ أتاك ليقبضَ رُوحَكِ، أكان يَسُرُّكِ أني قضيتُ لك هذه الحاجة؟.

قالت: اللهم لا. قال: صدقتِ.

قال: فلو أُدخلتِ في قبرك وجَلستِ للمُساءلة، أكان يَسُرُّكِ أني قضيتُ لك هذه الحاجة؟.

قالت: اللهم لا. قال: صدقتِ.

قال: فلو أن الناس أُعطوا كتبَهم ولا تدرِين تأخذين كتابَك بيمينِك أم بشمالِكِ، أكان يسُرُّكِ أني قضيتُ لك هذه الحاجة؟.

قالت: اللهم لا. قال: صدقتِ.

قال: فلو جِيءَ بالموازينِ وجِيءَ بك لا تدرين تَخِفِّينَ أم تَثْقُلينَ أكان

---

(١) هذا لا يجوز شرعًا، ولقد ذكرته لذكر ابن الجوزي وابن القيم لهذه القصة، فلعلّ لهما تأويلاً، والله أعلم.

يسرُّكِ أني قضيتُ لكِ هذه الحاجة؟.

قالت: اللهم لا.

قال: فلو وقفتِ بين يدي الله للمساءلة، أكان يُسرُّكِ أني قضيتُ لكِ هذه الحاجة؟.

قالت: اللهم لا. قال: صدقتِ.

قال: اتَّقي الله يا أمةَ الله، فقد أنعمَ الله عليكِ وأحسنَ إليك.

قال: فرجعَتْ إلى زوجِها فقال: ما صنَعتِ؟ قالت: أنت بطَّالٌ، ونحن بطَّالون.. فأقبَلتْ على الصلاةِ والصومِ والعبادة.. فكان زوجُها يقول: ما لي ولعُبيدِ بنِ عُمير؟! أفسدَ عليَّ امرأتي، كانت في كلِّ ليلةٍ عروسًا، فَصَيَّرها راهبةً!».

السَّرِيُّ بن دينار وعظيمُ عِفَّته:

□ قال محمد بن إسحاق: «نزل السَّرِيُّ بن دينار في دارٍ بمصر كانت فيها امرأةٌ جميلة تَفتِنُ الناس بجمَالها، فعلِمَتِ المرأةُ، فقالت: «لأَفتننَّه»، فلما دخلَتْ من باب الدربِ كشفت وأظهرت نفسها، فقال السريُّ: ما لكِ؟ قالت: هل لك في فراشٍ وَطِيّ وعيشٍ رَخِيّ؟!.

□ فأقبل عليها وهو يقول:

وكم ذي معاصٍ نال منهنَّ لذَّةً ... ومات فخَلّاها وذاق الدواهيا

تَصرَّمُ لذَّاتُ المعاصي وتنقضي ... وتبقى تِباعاتُ المعاصي كما هيا

فواسوأتا والله راءٍ وسامعٌ ... لعبدٍ بعين الله يغشى المعاصيا [(١)]

---

(١) «ذم الهوى» (ص٢٣٤ - ٢٣٥).

«لا حاجةَ لي فيمن دعاني إلى المعصية وأنا أدعوه إلى الطاعة»:

□ قال الأصمعيُّ: «عشِق رجلٌ من النُّسَّاكِ جاريةً من البصرة، فبعث يخطِبُها، فأبت، وقالت: إنْ أردتَ غيرَ ذلك فعلتُ، فأرسل إليها:

سبحان الله أيتها المرأة!! أدعوكِ إلى الأمر الصحيح والحلالِ الذي لا عَيبَ فيه ولا وزرَ، وتَدْعِينني إلى ما لا يصلحُ لا لي ولا لكِ؟! قال: فأرسلت إليه: قد أخبرتُك بالذي عندي، فإن أردتَ فَتقدَّمْ، وإن كرهتَ فتأخَّر، فأنشأ الفتى يقول:

أُسائِلُها الحلالَ وتَدْعُ قلبي ... إلى ما تشتهيهِ من الحرام

كداعي آلِ فرعونَ إليه ... وهم يَدْعُونه نحوَ الغرام

فظلَّ منعَّمًا في الخُلدِ يسعى ... وظلُّوا في الجحيم وفي السَّقَام

فلما علِمت أنه قد امتنع عليها من الفاحشة أرسلت إليه: أنا بين يديك على الذي تُحب.. فكتب إليها: هيهات، لا حاجةَ لي فيمن دعاني إلى المعصية وأنا أدعوه إلى الطاعة، وقال:

لا خيرَ فيمن لا يراقِبُ ربّهُ ... عند الهوى ويخافُه أحيانَا

إن الذي يَبغي الهوى ويريدُه ... كمؤاجرِ شيطانِه شيطانا

حَجَبَ التُّقى بابَ الهوى فأخو التقى ... عَفٌّ الخليقةِ زائدٌ إيمانًا[1]

□ ولله در من قال في وصف العفيف:

يقظاتُه ومنامُه شِرَعٌ[2] ... كلٌّ بكلٍّ فهو مشتبهُ

---

(١) «ذم الهوىٰ» (ص٢٣٦).

(٢) مفردها شِرع، وهو المثل والشبيه.

إن هـــمَّ في حُلـــم بفاحـــشةٍ زجرتـــه عِفَّتُـــه فينزجِـــرُ

* قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الرحمن].

□ قال مجاهد: «هو الرجلُ يذكرُ الله عند المعاصي فينحجز عنها»[١].

□ وقال مالك بن دينار: «جناتُ النعيم بين جناتِ الفردوس وبين جناتِ عدْن، فيها جَوارٍ خُلِقنَ من وَردِ الجنة، قيل: ومَن يسكنها؟ قال: الذين همُّوا بالمعاصي، فلمَّا ذكروا عظمةَ الله راقبوه، والذين انثنت أصلابُهم من خشيته».

□ وقال ميمونُ: «الذِّكر ذِكرانِ: فذكرُ الله عَزَّ وَجَلَّ باللسان حسن، وأفضل منه أن يُذكَر عندما يُشرِفُ عليه من معاصيه».

□ وقال عُبيد بن عُمير: «مِن صدق الإيمان وبرِّه أن يخلوَ الرجلُ بالمرأةِ الحسناء فيدعُها، لا يدعُها إلَّا لله عَزَّ وَجَلَّ»[٢].

• وعن عمر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **«بينما ثلاثةُ نفرٍ يتماشَون أَخَذهم المطرُ، فمالوا إلى غارٍ في الجبل، فانحطَّت على فم غارهم صخرةٌ من الجبل، فأطبقت عليهم، فقال بعضُهم لبعض: انظروا أعمالًا عمِلتموها لله صالحةً، فادعوا اللهَ بها لعله يُفرِّجُها.**

فقال أحُدهم: اللهم إنه كان لي والدانِ شيخانِ كبيرانِ، ولي صِبْيةٌ صغارٌ كنت أرعى عليهم، فإذا رُحتُ عليهم فَحلبتُ، بدأت بوالديَّ أَسقيهما قبل ولدِي، وأنه نأى به الشجرُ، فما أتيتُ حتى أمسيتُ، فوجدتُهما

(١) «ذم الهوىٰ» (ص٢٤٠ - ٢٤١).

(٢) «ذم الهوىٰ» (ص٢٤٤ - ٢٤٥).

قد نامَا، فحلبتُ كما كنتُ أحلُب، فجئتُ بالحِلاب، فقمتُ عند رؤوسهما، أكرُه أن أوقظَهما من نومهما، وأكرُه أن أبدأَ بالصِّبية قبلَهما - والصِّبيَةُ يتضاغَوْن عند قدمي -، فلم يَزل ذلك دَأْبي ودَأْبهم حتى طَلع الفجر، فإن كنتَ تعلمُ أني فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهك فأفرِجْ لنا فُرجةً نرى منها السماء، ففرَّج اللهُ لهم فُرجةً حتى رأوَا منها السماء.

فقال الثاني: اللهم إنه كانت لي ابنةُ عمٍّ أُحبُّها كأشدِّ ما يُحبُّ الرجالُ النساء، فطلبتُ إليها نفسها، فأبتْ حتى آتيهَا بمئةِ دينارٍ، فسعَيتُ حتى جمعتُ مئةَ دينارٍ فلقيتُها بها، فلمَّا قعدتُ بين رجلَيها قالت: يا عبدَ الله، اتَّقِ اللهَ ولا تفتَحِ الخاتمَ إلَّا بحقِّه.. فقمت عنها، اللهم فإن كنتَ تعلمُ أني فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهك فأفرِج لنا منها.. ففرَّج لهم فُرجةً..»[1] الحديث.

القَسُّ «عبد الرحمن بن أبي عمار» يَعِفُ عن «سَلَّامة»:

□ كان عبد الرحمن بن أبي عمار بن جُشَم بن معاوية ينزل بمكة، وكان من عُبَّاد أهلها فسُمي «القَسُّ» لعبادته، شُغفت به «سَلَّامة»، وقالت له: «أنا والله أُحبُّكَ. قال: وأنا والله أُحبُّكِ، قالت: وأُحِبُّ أن أضعَ فمي على فمك، قال: وأنا والله، قالت: وأُحِبُّ أن أُلصِقَ صدري بصدرك وبطني ببطنك[2]، قال: وأنا والله، قالت: فما يمنعُك؟ فوالله إن الموضعَ لخَالٍ! قال: إني سمعتُ الله يقول: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ۝٦٧﴾ [الزخرف] وأنا أكرهُ أن تكون خُلَّةُ ما بيني وبينك

(١) صحيح: وقد تقدم.
(٢) هذا الكلام كلُّه لا يَحِلُّ شرعًا.

تؤولُ بنا إلى عداوةٍ يوم القيامة.

قالت: يا هذا، أتحسب أن ربِّي وربَّك لا يقبلُنا إن نحن تُبنا إليه؟ قال: بلى، ولكن لا آمنُ أن أُفاجأ».

عفاف شابٍّ من الأنصارَ:

□ وانظر إلى هذه المَيتة العجيبة: «أَحبَّت امرأةٌ من المدينة رجلًا من الأنصار، فأرسلت تشكو إليه حبَّها وتسألُه الزيارةَ وتدعوه إلى الفاحشة – وكانت ذات بعلٍ – فأرسل إليها:

إن الحـرامَ سـبيلٌ لـستُ أَسـلُكُه ... ولا أَمُـرُّ بـه مـا عـشتُ في النـاسِ

فـابغِي العفـافَ فـإني غيـرُ مُتَّبـع ... ما تَـشْتَهِيْنَ فكـوني منـه في يـاسِ

إني سأحفظُ فـيكم مـن يـصونُكمُ ... فلا تكوني أخـا جهـلٍ ووسـواسِ

فلمَّا قرأت الكتاب كتبت إليه:

دعْ عنك هذا الذي أصبحتَ تذكرُه ... وصِرْ إلى حاجتي يا أيها القاسِـي

دعِ التنـسُّكَ إني غيـرُ ناسـكةٍ ... وليس يدخلُ ما أبـديتَ في راسـي

فأفشى ذلك إلى صديقٍ له، فقال له: لو بعثتَ إليها بعضَ أهلِكَ فوعظَتْها وزجرَتْها رجوتُ أن تكفَّ عنك، فقال: والله لا فعلت، ولا صرتُ في الدنيا حديثًا، ولَلعارُ في الدنيا خيرٌ من النارِ في الآخرة، وقال:

العـارُ في مُـدَّةِ الـدنيا وقلَّتِهـا ... يَفنَى ويَبقى الذي في العارِ يُؤذيني

والنارُ لا تَنقضي ما دام بـي رَمَـقٌ ... ولـستُ ذا مَيتـةٍ منهـا فتُفنينـي

لكن سأصبرُ صـبرَ الحُـرِّ محتـسِبًا ... لعلَّ ربـي مـن الفـردوس يُـدنيني

وأمسك عنها، فأرسلت: إما أن تزورَني، وإما أن أزورك.. فأرسل

إليها: أَرْبِعِي أيتها المرأةُ على نفسِكِ، ودعي عنك التسرعَ إلى هذا الأمر..، فلما يَئِسِت منه ذهبت إلى امرأةٍ كانت تَعملُ السِّحرَ، فجعلت لها الرغائبَ في تهييجه، فعمِلت لها فيه، فبينما هو ذاتَ ليلةٍ جالسًا مع أبيه إذ خَطَرَ ذكرُها بقلبه وهاج منه أمرٌ لم يكن يعرفه، واختلط، فقام من بين يدَيْ أبيه مُسرعًا، وصلَّى واستعاذ، وجعل يَبكي، والأمر يزيد، فقال له أبوه: يا بني، ما قِصَّتُك؟

قال: يا أبتِ، أدرِكْني بقَيْدٍ، فما أرى إلَّا قد غُلبتُ على عقلي، فجعل أبوه يبكي ويقول: يا بُنيَّ، حدِّثني بالقصة، فحدَّثه قصته، فقام إليه فقيَّده وأدخله بيتًا، فجعل يتضربُ ويخورُ كما يخورُ الثور، ثم هدأ ساعةً، فإذا هو ميت، وإذا الدم يسيلُ من مِنخَريه».

□ قال عمرُ بن عبد العزيز: «أفضلُ الجهاد جهاد الهوى».

□ وقال سفيان الثوري: «أشجعُ الناس أشدُّهم من الهوى امتناعًا».

□ وكان الثوريُّ رحمه الله كثيرًا ما يتمثّل بهذين البيْتين:

تفنى اللذاذةُ ممن نال صفوتَها ... من الحرام ويَبقى الوِزْرُ والعارُ

تبقى عواقبُ سُوءٍ في مَغِبتَّها ... لا خيرَ في لذةٍ من بعدِها النارُ

□ وقال الحسين بن مُطَير:

ونفسَك أَكْرِمْ عن أمورٍ كثيرةٍ ... فما لكَ نفسٌ بعدَها تستعيرُها

ولا تَقْرَبِ المرعَى الحرامَ فإنما ... حلاوتُه تَفنى ويَبقى مريرُها

□ وقال الإمام أحمد بن حنبل: «الفتوَّةُ تركُ ما تهوى لما تخشى».

رجل لا يبيعُ جنةً عرضُها السموات والأرض:

□ قال العُتْبي: «عَلِق أعرابيٌّ امرأةً، فطال به وبها الأمرُ، فلما التقيا وتمكَّن منها وصار بين شُعبَتَيها ذَكَرَ الدارَ الآخرة وجاءته العِصمة، فقال: والله إنَّ امرءً باع جنةً عرضُها السمواتُ والأرضُ بفِتْرٍ بين رِجلَيكِ لَقليلُ البصر بالمساحة!».

«أخافُ نارًا لا يخبو سعيرها»:

□ عن رجاءَ بن عمرو النخَعِي قال: «كان بالكوفة فتًى جميلُ الوجه، شديدُ التعبُّدِ والاجتهاد، وكان أحدَ الزهاد، فنزل في جوارِ قومٍ من النَّخَع، فنظر إلى جاريةٍ منهم جميلةً فهَوِيها، وهام بها عقلُه، ونزل بها مِثلُ الذي نزل به، فأرسَلَ يَخطِبُها من أبيها، فأخبره أبوها أنها مُسمَّاةٌ لابن عمٍّ لها، فلما اشتد عليهما ما يُقاسيانِ من ألم الهوى أرسلت إليه الجاريةُ: قد بلغني شدَّةُ محبتِكَ لي، وقد اشتد بلائي بك، فإن شئتَ زُرتُك، وإنْ شئتَ سهَّلتُ لك تأتيني.

فقال للرسول: ولا واحدةٌ من هاتين الخَلَّتين، إني أخافُ أنْ عصيتُ ربي عذابَ يوم عظيم، أخافُ نارًا لا يخبُو سعيرُها ولا يخمدُ لهيبها.. فلما انصرف الرسولُ إليها فأبلَغَها ما قال قالت: وأراه مع هذا زاهدًا يخافُ الله! والله ما أحدٌ أحقُّ بهذا من أحدٍ، وإن العِباد فيه لمشتركون.

ثم انخلعت من الدنيا، وألقت علائقَها خلفَ ظهرها، ولَبِسَتِ المُسوحَ وجعلت تتعبد، وهي مع ذلك تذوبُ وتنحلُّ حُبًّا للفتى وأسفًا عليه حتى ماتت شوقًا إليه فدُفنت، فكان الفتى يأتي قبرَها ويبكي عندها، ويدعو لها، فَغَلَبْته عينُه ذاتَ يومٍ على قبرها، فرآها في منامِه وكأنها في

أحسنِ منظرِها فقال: كيف أنتِ؟ وما لقيتِ بعدي؟ فقالت:

نِعمَ المَحبَّةُ يا سُؤلي مَحبَّتُكم ... حُبٌّ يقودُ إلى خيرٍ وإحسانِ

فقال: على ذلك إلى ما صرتِ؟.

فقالت:

إلى نعيمٍ وعيشٍ لا زوالَ له ... في جنةِ الخُلدِ مُلكٍ ليس بالفاني

فقال لها: اذكُريني هناك، إني لستُ أنساكِ، فقالت: ولا أنا والله أنساكَ، ولقد سألتُ قُربَكَ مولايَ ومولاك، فأعنِّي على ذلك بالاجتهاد، ثم ولَّتْ مُدبِرةً. فقال لها: متى أراكِ؟ قالت: ستأتينا عن قريبٍ فترانا، فلم يَعِشِ الفتى بعد الرؤيا إلَّا سبعَ ليال»[1].

«اللهم سَوِّدْها»:

□ قال أبو الكُرَير مَعمر: سمعتُ أبا زرعة الخَبْني يقول: «فكَّرَتْ بيَ امرأةٌ فقالت: يا أبا زُرعة، ألا ترغبُ في عيادةِ مبتلًى تتعظ برؤيته؟ فقلت: بلى. فقالت: ادخُل إلى الدار. فلما دخلتُ الدار أغلقَتِ البابَ ولم أرَ أحدًا، فعرَفتُ قَصدَها، فقلت: اللهم سوِّدها. فاسودَّت، فحارت، وفتحت الباب فخرجت، وقلت: اللهم رُدَّها إلى حالتها.. فَردَّها إلى ما كانت».

هِبْتَ مُهابًا:

□ عن يحيى بن عامرٍ التَّيمِيِّ أن رجلًا من الحيِّ خَرَج حاجًّا، فإذا هو بامرأةٍ في بعض الليل ناشرةً شعَرها في بعض المياه، فأعرض عنها،

---

(١) «ذم الهوى» (ص٢٦٣- ٢٦٤).

فقالت: «هلمَّ إلي لِمَ تُعرِضُ عنِّي؟ قال: إني أخافُ الله رب العالمين، فتَجلببَتْ، ثم قالت: هِبْتَ مُهَابًا، إن أولى مَن شَركَك في الهَيبة لمن أراد أن يَشْرَكَكَ في المعصية.. قال: ثم ولَّت، فتبعتُها، فدخلَتْ بعضَ خيام الأعراب: فلما أصبحتُ أتيتُ رجلًا من القوم، فوصفتُها فقلت: «فتاةٌ كذا وكذا، من حسنها، من منطقها»، فقال شيخٌ منهم: ابنتي والله، قلتُ: هل أنت مزوِّجي؟ قال: على الأكفاء، قلت: رجلٌ من «تَيم الله». قال: كفؤٌ كريم.. فما رُمتُ حتى تزوجتُها ودخلتُ بها، ثم قُلت: جهِّزوها إلى قُدومي من الحج، فلما قدمتُ حَملتُها إلى الكوفة، فها هي عندي لي منها بنينُ وبناتٌ»[1].

عِفَّةٌ بها مَلَك الدنيا والآخرة:

□ قال الحسن بن زيد: «وَلِيَنا بديارِ مصر رجلٌ، فوجد على بعض عُمَّاله فحَبَسه وقيَّده، فأشرفَتْ عليه ابنةُ الوالي فهَوِيَتْه، فكتبت إليه وكان قد نظر إليها:

أيهـــا الرامـــي بعينَيـــهِ ... وفي الطَّـرْفِ الحُتـــوفُ

إنْ تُـــرِدْ وصـــلًا فقـــد ... أمكنك الظبيُّ الألُـوفُ

□ فأجابها الفتى:

إن تَريْنـــي زانيَ العينيـــ ... ـــنِ فـــالفَرجُ عفيـــفُ

لـــيس إلَّا النظـــرُ الفـــا ... تـــرُ والـــشِّعرُ الظريـــفُ

□ فكتبت إليه:

---

(١) «ذم الهوىٰ» (ص٢٦٤- ٢٦٥).

قَـد أردنـاك علـى عـشـ ـــقِك إنـــسانًا عفيفًـــا
فتأبَّيـــت فـــلا زلـــ ـــتَ لقَيـدَيكَ حَلِيفًـــا

□ فأجابَها:

مــــا تأبَّيْـــــتُ لأني كُنْــتُ للظبــي عيُوفًــا
غــيرُ أنِّي خِفــتُ ربًّــا كــان بي بـــرًّا لطيفًــا

فذاع الشِّعُر وبلغ الخبرُ الواليَ، فدعا بها، فزوَّجه إياها، ودفعها إليه»[1].

□ وفي حديث الغار قالت المرأةُ لابن عمها: «**يا عبد الله، اتَّقِ الله، لا تَفتحِ الخاتم إلَّا بحقِّه**».. فللَّه درها.

حديثُ الكِفلِ وصاحبتِه:

• عن ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت النبي ﷺ يُحدِّث حديثًا لو لم أسمَعْه إلَّا مرةً أو مرتين –حتى عَدَّ سبع مرات–، ولكن سمعتُه أكثر من ذلك: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**كان الكفلُ من بني إسرائيل لا يَتورَّعُ عن ذنبِ عَمِلَه، فأتته امرأةٌ، فأعطاها ستِّينَ دينارًا على أن يطأَها، فلما قَعد منها مَقعَدَ الرجلِ من امرأته أُرعدت وبَكت، فقال: ما يُبكيك؟ أأكرهتُكِ؟ قالت: لا، ولكنه عملٌ ما عمِلتُه قط، وما حَمَلني عليه إلَّا الحاجةُ.. فقال: تفعلين أنتِ هذا وما فَعَلْتِهِ؟ اذهبي فهي لك، وقال: لا والله لا أَعصي الله بعدها أبدًا، فمات من ليلتِه، فأصبح مكتوبًا على بابه: إن الله قد غَفر**

(١) «ذم الهوىٰ» (ص٢٦٧- ٢٦٨).

للكِفْل»[1].

نساءٌ عفيفات:

وإن كان يُحمَدُ الصبرُ من الرجال عن الفاحشة، فهو من النساء أعجب:

«دع ذلك ليوم التغابن»:

□ قال خَارجةُ بنُ زياد -رجلٌ من بني سليمة-: «هَوِيتُ امرأةً من الحي، فكنتُ أتبعُها إذا خرجت من المسجد، فعرفَتْ ذلك مني، فقالت لي ذاتَ ليلة: ألك حاجة: قلت: نعم، قالت: وما هي؟ قلت: مودَّتُكِ، قالت: دَعْ ذلك ليوم التغابن، قال: فأبكتني والله، فما عُدت إلى ذلك».

«فأين مُكَوكِبُها؟»:

□ قال أعرابي: «خرجتُ في بعض ليالي الظلمة، فإذا أنا بجاريةٍ كأنها عَلَم، فأردتُها على نفسها، فقالت: ويلك! أمَا لك زاجرٌ من عقلٍ إذا لم يكن لك ناهٍ من دين! فقلت: إيهًا! والله ما يرانا إلَّا الكواكبُ، قالت: فأين مكوكبُها؟!».

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي، وأحمد، وأبو يعلىٰ في «المسند»، وابن قدامة في «التوَّابين»، وابن حبان، وأخرجه رزين في «جامع الأصول»، وحسنَّه الترمذي، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وضعَّفه الألباني في «ضعيف سنن الترمذي» رقم (٤٤٨)، والشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق «المسند».
والكفل هذا ليس النبي المذكور في كتاب الله تعالىٰ، فقصته لا تليق بنبي، انظر: كتاب «من قصص الماضيين في حديث سيد المرسلين»، بقلم الشيخ مشهور حسن سلمان (ص٢٢٧- ٢٢٩)، دار الهجرة.

هكذا تفنى الشهواتُ وتنقطع اللذات:

□ قال محمد بن عبد الله بن زيد: حدثتني أُمِّي عن أبيها قال: «أحببتُ جاريةً من العرب، وكانت ذاتَ عقلٍ وأدب، فما زلتُ أحتارُ في أمرها حتى اجتمعتُ معها في ليلةٍ مظلمةٍ شديدةِ السواد في موضعٍ خالٍ، فحادثتُها ساعةً، ثم دعتني نفسي إليها، فقلتُ: يا هذه، قد طال شوقي إليكِ قالت: وأنا كذلك. قلتُ: قد عَسرُ اللقاء. قالت: نحن كذلك! قلتُ: هذا الليلُ قد ذهب والصبُح قد اقترب.

قالت: هكذا تَفنى الشهوات وَتَنقطعُ اللذَّات.

قلتُ: لو أدنيتِني منكِ؟.

قالت: هيهاتَ هيهاتَ! إني أخافُ العقوبةَ من الله، قلتُ لها: فما الذي دعاكِ إلى الحضورِ معي في هذا المكان.

قالت: شِقوتي وبلائي!.

قلت: فمتى أراكِ؟

قالت: ما أُراني أنساك، فأما الاجتماعُ معك، فلا أراه يكون.

ثم تولَّتْ من بين يديَّ، فأستحييتُ مما سمعتُ منها، فرجعتُ وقد خرج من قلبي ما كنتُ أجدُ من حُبِّها، ثم أنشأتُ أقول:

تَوَقَّتْ عذابًا لا يُطاقُ انتقامهُ ... ولم تأتِ ما تَخشى به أن تُعذَّبا

وقالت مقالًا كدْتُ من شدةِ الحيا ... أَهيمُ على وجهي حَيًا وتعجُّبَا

أَلا أُفٍّ للحُبِّ الذي يُورِثُ العمى ... ويُورِدُ نارًا لا تَمَلُّ التوثُّبا

فاقبل عَودي فوق بَدئي مُفكِّرًا ... وقد زال عن قلبِي العَمى فتَسرَّبا

□ قال: فلم أرَ امرأةً كانت أصونَ منها لدينِها ولا أعقل»[١].

بَقِيَ الباب الذي بيننا وبين اللهِ لم يغلق:

□ قال أبو محمد الشيباني: «كان بالبصرة رجلٌ له أكَّار[٢]، وكانت له امرأةٌ جميلةٌ حَسناءُ كَثيرةُ الشَّحَمِ، فوقعت في نفسه، فركب زبيديَّته إلى قصره، وقال للأكَّار: الْقُطْ لنا من الرُّطَبِ، وصَيِّرْه في الدواخل، ثم قال له: ايتِ به فلانًا وفلانًا.. فنذهب به، فلما مضى قال لامرأته: أَغلقِي بابَ القصر. فأغلقته. ثم قال لها: أغلِقي كلَّ بابٍ. ففعلت، فقال لها: هل بَقِي بابٌ لم تغلقيه؟ قالت: نعم، بابٌ لم أغلِقه، قال: وأيُّ بابٍ هو؟ قالت: البابُ الذي بيننا وبين الله عَزَّ وَجَلَّ.

فبكى، ثم قام يتصبَّبُ عَرَقًا، وانصرف ولم يُواقعِ الخطيئة»[٣].

استحِ من هذه الهمة:

عن محبوب بن صالح أن رجلًا من العرب رأى امرأةً، فوقعت في قلبه، فكَلَمَ بذلك دهرًا، ثم إن الأمر تفاقَم، وتمكَّنت منه الصبابةُ، واستخفَّه الغرام، فبَعث إليها يسألُها نفسَها، ويُخبِرُها بما هو عليه من حُبِّها، فكتبت إليه: «اتَّقِ الله أيها الرجل، وأرْبعْ على نفسك، واستَحِ من هذه الهِمَّة التي قد تعلقتَ بها، فإن ذلك أولى بذوي العقول».

---

(١) «ذم الهوىٰ» (ص٢٧٢ - ٢٧٣).

(٢) الأكَّار: الحرَّاث.

(٣) «ذم الهوىٰ» (ص٢٧٣ - ٢٧٤).

«أنامَ ربُّ العالمين؟..»:

◻ قال ابن الجوزي رحمه الله: «بلغنا أن بعض المتعبِّدات البَصْرِيَّات وقعت في نفس رجل مُهَلَّبِيٍّ - وكانت جميلة، وكانت تُخطَب فتأبى-، فبلغ المهلبيَّ أنها تريدُ الحجَّ، فاشترى ثلاثمئةِ بعيرٍ، ونادى: مَنْ أراد الحجَّ فليكترِ من فلانٍ المهلبيِّ، فاكترتْ منه، فلما كان في بعض الطريق جاءها ليلًا، فقال: إما أن تزوِّجيني نفسَكِ، وإما غيرُ ذلك، فقال: ويحك، اتق الله!!، فقال: ما هو إلَّا تسمعين، والله ما أنا بحمَّالٍ، ولا خرجتُ في هذا إلَّا من أجلِكِ.. فلمَّا خافت على نفسها قالت: ويحك انظرْ: أَبَقِيَ في الرجال أحدٌ لم يَنَم؟.

قال: لا، قالت: عُدْ فانظر.. فمضى وجاء، فقال: ما بَقِي أحدٌ إلَّا وقد نام.

فقالت: ويحك! أنامَ رب العالمين؟ ثم شهِقت شهقةً وخَرَّتْ مَيتةً.

وخَرَّ المُهلبيُّ مغشيًّا عليه، ثم قال: ويحي! قتلتُ نفسًا ولم أبلُغْ شَهوتي.. فخرج هاربًا»[1].

«وهذه الطائفةُ لِعِفَّتِهم أسبابٌ: أقواها وأكملها: إجلالُ الجَبَّار، ثم الرغبةُ في الحُورِ الحسان في دارِ القرار، فإنَّ مَن صَرَف استمتاعَه في هذه الدار إلى ما حَرَّم الله عليه مَنَعه من الاستمتاع بالحُور الحِسانِ هناك.. فَلْيَتَخَيَّرِ العبدُ لنفسه إحدى اللذتَينِ، ولْيَطِبْ نفسًا عن إحداهما بالأخرى، فلن يجعلَ الله مَن أذهبَ طيباتِه في حياته الدنيا واستمتع بها كمَن صام عنها ليومِ فطره من الدنيا إذا لَقِيَ الله، ودون ذلك مرتبةٌ أن يتركَها خوفَ

---

(١) «ذم الهوى» (ص٢٧٦ - ٢٧٧).

النار فقط، فإنَّ تَرْكَها رغبةً ومحبةً أفضلُ من تركها لمجردِ خوفِ العقوبة»(١).

تركُ المُحبِّين أدنى المَحبوبَيْن رغبةً في أعلاهما:

□ قال العلَّامة ابن القيم رحمه الله: «هذا بابٌ لا يدخل فيه إلَّا النفوسُ الفاضلة الشريفةُ الأبية التي لا تقنعُ بالدون، ولا تبيع الأعلى بالأدنى بيعَ العاجزِ المغبون، ولا يَملِكُها لَطخُ جمالٍ مُغَشٍّ على أنواعٍ من القبائح.

فالنفس الأبية لا ترضى بالدُّون، وقد عابَ الله سبحانه أقوامًا استبدلوا طعامًا بطعامٍ أدنى، فنعى ذلك عليهم، وقال: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٦١] ، وذلك دليلٌ على وضاعةِ النفس وقِلَّةِ قيمتها، ومن أحسن شِعر العرب -وكان عمرو بن العاص يتمثَّل بهمَا-:

إذا المرءُ لم يَترك طعامًا أَحَبَّه ... ولم يَنْه قلبًا غاويًا حيث يَمَّمَا

قضى وطَرًا منه وغادَرَ سُبَّةً ... إذا ذُكرت أمثالُها تملأ الفمَا»(٢)

الرَّبيعُ بن خُثَيم، لله دُّره، سيّدٌ من سادات أهل العفاف:

يَروي أصحابُ السير والتراجم أن قومًا أَمَروا امرأةً ذات جمالٍ بارعٍ أن تتعرَّض للربيع بن خُثيم لعلها تفتنُه، جعلوا لها إنْ فعلتَ ذلك ألفَ درهم.

فلبِست أحسن ما قَدَرت عليه من الثياب، وتطيَّبت بأطيبِ ما قَدَرت

(١) «روضة المحبين» (ص٣٤٨- ٣٤٩).

(٢) «روضة المحبين» (ص٣٩٩- ٤٠٠).

عليه، ثم تعرَّضت له حينَ خرج من مسجده، فنظر إليها، فراعَه أمرها، فأقبلت عليه وهي سافرة.

فقال لها الربيع: كيف بكِ لو نَزَلَتِ الحُمَّى بجسمك، فغيَّرت ما أرى من لونك وبهجتك؟!.

أم كيف بكِ لو قد نزل بكِ مَلكُ الموت فقطع حَبْلَ الوتين [(١)]؟!.

أم كيف بكِ لو سألَكِ منكرٌ ونكير؟!.

فصرخت صرخةً فسقطت مغشيًّا عليها.

فوالله لقد أفاقت وبلغت من عبادةِ ربها أن كانت يومَ ماتت كأنها جِذعٌ محترِقٌ من خشية الله عَزَّ وَجَلَّ [(٢)].

□ قال ابن أبي عمامة رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن رجلًا أحبَّ امرأة فأحبَّته، فاجتمعا، فراوَدَتْه المرأة عن نفسه، فقال: إن أَجَلِي ليس بيدي، وأَجلَكِ ليس بيدك، فربما كان الأجلُ قد دنا فنَلقى الله عاصيينِ، فقالت: صدقتَ.. فتابا، وحَسُنت حالتُهمَا»[(٣)].

عفيفٌ يَفوحُ المِسكُ منه:

□ قيل لأبي بكر المِسْكي: «إنا نَشُمُّ منكَ رائحةَ المسكِ مع الدوام، فما سببُه؟ فقال: والله إن لي سنينَ عديدةً لم أستعمِل المسكَ، ولكن سببُ ذلك أن امرأةً احتالت عليَّ حتى أدخلتني دارَها، وأغلقت دوني الأبواب، وراودَتْني عن نفسي، فتَحيَّرتُ في أمري، فضاقت بيَ الحِيل، فقلتُ لها:

---

(١) الوتين: عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه.

(٢) «التوابين» لابن قدامة (ص٢٧٣)، و«صفة الصفوة» لابن الجوزي (٣/ ١٦١).

(٣) «ذم الهوىٰ» لابن الجوزي (٢١٣).

إنَّ لي حاجةً إلى الطهارة، فأمَرتْ جاريةً لها أن تَمضيَ بي إلى بيتِ الراحة، ففَعَلَتْ، فلما دخلتُ بيت الراحة أخذتُ العَذِرةَ وألقيتُها على جميع جسدِي، ثم رجعتُ إليها وأنا على تلك الحالة، فلمَّا رأتني دُهِشت، ثم أَمرت بإخراجي، فمضيتُ واغتسلتُ، فلما كانت تلك الليلةُ رأيتُ في المنام يقول لي: فعلتَ ما لم يفعَلْه أحدٌ غيرُك، لأُطيِّبَنَّ رِيحَك في الدنيا والآخرة، فأصبحتُ والمِسكُ يفوحُ مِنِّي، واستمرَّ ذلك إلى الآن»[1].

✍ فعليك أخي بالعِفة، فَعَدمُها يُعفِّي على جميعِ المحاسن ويُعرِّي مِن لُبوس المحامد، ومَن اتَّسَمَ بسِمةِ العِفَّة قامت العفَّةُ له بحُجَّةِ ما سواها من الفضائل، وسَهَّلت له سبيلَ الوصولِ إلى المحاسن.

---

(١) «المواعظ والمجالس» لابن الجوزي (ص٢٢٤)، طبع دار الصحابة.

أقوال السلف في العفة

□ قال لقمَان الحكيم رحمه الله: «حقيقةُ الورع العفافُ»[١].

□ لمَّا فتح المسلمون القادسية أخذوا الغنائم ودفعُوها إلى عمر. فقال: «إنَّ قومًا أدَّوْا هذا لأمناءُ، فقالوا له: عففتَ فعفُّوا ولو رَتَّعْتَ يا أمير المؤمنين لرَتَعَتْ أمَّتُك»[٢].

□ وقال أيضًا رضي الله عنه على المنبر: «لا تُكلِّفُوا الأَمَةَ غير ذات الصَّنْعَةِ الكسب؛ فإنكم متى كلفتموها ذلك كسبت بفرجها، ولا تكلِّفُوا الصغير الكسبَ؛ فإنَّه إذا لم يجدْ يسْرقْ، وعِفُّوا إذا أعفَّكُم الله، وعليكم من المطاعم بما طاب منها»[٣].

□ قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «نحن معْشر قريشٍ نعُدُّ الحلم والجُودَ السُّؤْدَد، ونعُدُّ العفاف وإصلاح المَال المروءَةَ»[٤].

□ قال ابن عباسٍ رضي الله عنهما لمَّا قال له الناسُ: بايع لابن الزبير: «وأينَ بهذا الأمرِ عنه[٥]، أمَّا أبُوه فحواريُّ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، يُريدُ الزبير. وأمَّا جدُّه فصاحِبُ الغارِ – يريد أبا بكرٍ –، وأمَّا أُمُّهُ، فذَاتُ النِّطَاقِ – يريدُ أسماءَ – ، وأمَّا خَالتُهُ فأمُّ المؤمنينَ – يريدُ عائشة –، وأمَّا عمَّتُه فزوْجُ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم –

---

(١) «الورع» لابن أبي الدنيا (ص٥٩).

(٢) المرجع السابق (ص١٢٢).

(٣) «الموطأ» (٩٨١).

(٤) «الآداب الشرعية» (٢/ ١٥).

(٥) معنى قوله: «وأين بهذا الأمر عنه»: أن الخلافة ليست بعيدة عنه لشرفه ونسبه ووضعه.

يريدُ خديجةَ –، وأمَّا عمَّةُ النَّبيِّ ﷺ فجدَّتُهُ – يريدُ صفيَّةَ–، ثمَّ عَفِيفٌ في الإسلام قارئٌ للقرْآنِ، والله إنْ وصلُوني وصلُوني من قريبٍ، وإنْ ربَّوني ربَّوني أكْفَاءٌ كِرَامٌ [(١)]. فآثَرَ عليَّ التُّوَيْتاتِ والأساماتِ والحيداتِ– يريد أبْطُنًا من بني أسدٍ: بني تويتٍ وبني أسامة وبني أسدٍ أنَّ ابن أبي العاص برز يمشي القدميَّة [(٢)] يعني عبد الملك بن مروان، وأنَّه لوَّى ذنبه، يعني ابن الزبير»[(٣)].

□ قال قَلاخُ – وهم جماعةٌ يسمَّونَ بهذا الاسمِ وأشهرُهُم القلاخُ العنْبَرِيُّ البصريُّ المخضرم لأبي جهْلٍ والحارثِ ابني هشام:

فَهَلْ يُخْلِدَنَّ ابنيْ هشام غِناهُما ... ومَا يَجْمَعَانِ مِن مِئِينَ وَمِنْ أَلْفِ

يَقُولانِ نَسْتَغْنِي وَوَالله مَا الغِنَى ... مِنَ المَالِ إلَّا ما يُعِفُّ ومَا يَكْفِي [(٤)]

□ قال محمد بن الحنيَّفة رحمه الله: «الكمَالُ في ثلاثةٍ: العفَّةُ في الدِّينِ، والصَّبْرُ على النَّوائبِ، وحسنُ التَّدْبيرِ في المعيشة»[(٥)].

□ قال محمدُ بن أبي عمْرَة في وصيَّتِه لبنيه وأهل بيته: «أن اتَّقُوا الله وأصْلِحُوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إنْ كنتم مؤمنين». قال إبراهيم لبنيه ويعقوب: ﴿يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٣٢﴾ [البقرة]. وأوْصَاهُمْ أن لا يرغَبُوا أن يكونوا مواليَ الأنْصارِ

---

(١) أكفاء: جمع كفء وهو المثل،وكرام: أي في أحسابهم.

(٢) القدمية: التبختر.

(٣) البخاري «الفتح» (٨/ ٤٦٦٥).

(٤) «القناعة» لابن السني (٥٨).

(٥) «أدب الدنيا والدين» (٣٩٣- ٣٩٤).

وأخوانهم في الدِّينِ، وأَنَّ العفَّةَ والصِّدْق خيرٌ وأتْقَى من الزنا والكذب..»[(١)].

◘ قال أبو قلابة عبد الله بن زيدٍ الجرمِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «أيُّ رَجُلٍ أعظمُ أجْرًا من رجلٍ ينفقُ على عيالٍ صغارٍ يعفُّهُمْ أو ينفعهم الله به ويُغنيهم»[(٢)].

◘ قال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ: «خَمْسٌ إذا أخْطأَ القاضي منهُنَّ خُطَّةً كانت فيه وصْمَةً أنْ يكون فهمًا حَلِيمًا عفيفًا صلِيبًا، عالمًا سَئُولًا عن العلمِ»[(٣)].

◘ قال سُفيانُ الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ لأصحابِهِ وقدْ خَرَجُوا يومَ عيدٍ: «إنَّ أَوَّلَ ما نبدأ به يوْمِنَا عِفَّةُ أبْصارِنَا»[(٤)].

◘ قال أبو عمرِو بنُ العلاءِ رَحِمَهُ اللهُ: «كانَ أهْلُ الجاهليَّةِ لا يسُوِّدُونَ إلَّا منْ كانتْ به ستُّ خِصَالٍ وتمَامُها في الإسلام سابِعَةٌ: السَّخَاءُ، والنجدةُ، والصَّبْرُ، والحلمُ، والبيانُ، والحسَبُ، وفي الإسلام زيادةُ العَفَافِ»[(٥)].

◘ قال منصُورٌ الفقيهُ رَحِمَهُ اللهُ: «فضلُ التُّقى أفضلُ من فضلِ اللِّسَان والحسب، إذا هُما لم يجمعا إلى العفاف والأدبِ»[(٦)].

◘ قال الماوَرْدي رَحِمَهُ اللهُ: «إنَّ دِينَ المرءِ يُفْضِي إلى السَّتْر والعفافِ، ويُؤدِّي إلى القَنَاعَةِ والكفافِ»[(٧)].

---

(١) الدارمي (٢/ ١٠٤).

(٢) مسلم (٢/ ٦٩٢) تعليقًا على حديث رقم (٩٩٤).

(٣) «الفتح» (١٣/ ١٥٦).

(٤) «الورع» لابن أبي الدنيا (٦٣).

(٥) «الآداب الشرعية» (٢/ ٢١٥).

(٦) «الآداب الشرعية» (٢/ ٢٢١).

(٧) «أدب الدنيا والدين» (١٩٤).

□ قال ابن مُفْلحِ رحمه الله: «كانَ يُقالُ: الشُّكْرُ زينَةُ الغنَى، والعفافُ زينَةُ الفقْرِ».

□ ويقال أيضًا: «حَقُّ الله واجِبٌ في الغِنَى والفقر، ففي الغنَى العطْفُ والشُّكرُ، وفي الفقر العفافُ والصَّبْرُ»[(١)].

□ قال ابن حجرٍ رحمه الله: «العالمُ إذا كان عليمًا ولم يكُنْ عفيفًا كان ضررهُ أشدَّ منْ ضَرَرِ الجَاهِلِ»[(٢)].

□ عن عمران بن عبد الله قال: «كان سعيد بن المسيب لا يقبل من أحد شيئًا، لا دينارًا، ولا درهمًا، ولا شيئًا؛ قال: وربمَا عرض عليه الأشربة، فيعرض؛ فليس يشرب من شراب أحد منهم»[(٣)].

□ عن إبراهيم بن أدهم قال: «تريد تدعو؟ كلِ الحلال، وادعُ بمَا شئت»[(٤)].

□ عن سفيان الثوري قال: «عليكم بمَا عليه الحمَّالون، والنساء في البيوت، والصبيان في الكُتَّاب: من الإقرار والعمل»[(٥)].

□ عن سليمَان بن يعقوب قال: «قلت لبشر بن الحارث: عظني؟ قال: انظر خبزك من أين هو؟ ولا تعرض للنار»[(٦)].

---

(١) «الآداب الشرعية» (٢/ ٣١٠).

(٢) «الفتح» (١٣/ ١٤٩).

(٣) «الحلية» (٢/ ١٦٧).

(٤) «الحلية» (٨/ ٣٤).

(٥) «الحلية» (٧/ ٣٠).

(٦) «الحلية» (٨/ ٣٣٩).

□ عن وهيب بن الورد قال: «لو قمت قيام هذه السارية، ما نفعك، حتى تنظر ما يدخل في بطنك: حلال، أم حرام»[١].

□ عن يوسف بن أسباط، أنه قال لشعيب بن حرب: «إن طلب الحلال فريضة والصلاة في الجمَاعة سنة»[٢].

□ علي بن الجهم بن بدر قال: «كان لنا جار، فأخرج إلينا كتابًا؛ فقال: أتعرفون هذا الخط؟ قلنا: نعم، هذا خط أحمد بن حنبل، فقلنا له: كيف كتب ذلك؟ قال: كنا بمكة مقيمين عند سفيان بن عيينة، فقصدنا أحمد بن حنبل أيامًا، فلم نره، ثم جئنا إليه لنسأل عنه، فقال لنا أهل الدار التي هو فيها: هو في ذلك البيت، فجئنا إليه والباب مردود عليه، وإذا عليه خلقان؛ فقلنا له: يا أبا عبد الله، ما خبرك؟ لم نرك منذ أيام؛ فقال: سُرقت ثيابي، فقلت له: معي دنانير، فإن شئت: خذ قرضًا، وإن شئت: صلة؛ فأبى أن يفعل، فقلت: تكتب فيّ بأخذه، قال: نعم، فأخرجت دينارًا، فأبى أن يأخذه؛ وقال: اشتر لي ثوبان واقطعه بنصفين – فأومأ أنه يأتزر بنصف، ويرتدي بالنصف الآخر -؛ وقال: جئني ببقيته، ففعلت، وجئت بورق وكاغد، فكتب لي؛ فهذا خطه»[٣].

□ عن صالح بن أحمد بن حنبل قال: «دخلت على أبي في أيام الواثق، والله يعلم في أي حالة نحن، وقد خرج لصلاة العصر، وقد كان له لبد يجلس عليها، قد أتت عليه سنون كثيرة، حتى قد بلي؛ فإذا تحته كتاب

---

(١) المصدر السابق (٨/ ١٥٤).

(٢) «الحلية» (٨/ ٢٣٨).

(٣) المصدر السابق (٩/ ١٧٧ - ١٧٨).

كاغد، وإذا فيه: بلغني يا أبا عبد الله ما أنت فيه من الضيق، وما عليك من الدين، وقد وجهت إليك بأربعة آلاف درهم على يدي فلان، لتقضي بها دينك، وتوسع بها على عيالك، وما هي من صدقة، ولا زكاة؛ وإنَمَا هو شيء ورثته من أبي، فقرأت الكتاب، ووضعته؛ فلمَّا دخل، قلت: يا أبت، ما هذا الكتاب؟ فاحمرّ وجهه، وقال: رفعته منك، ثم قال: تذهب بجوابه؛ فكتب إلى الرجل: وصل كتابك إلي، ونحن في عافية، فأما الدين: فإنه لرجل لا يرهقنا، وأما عيالنا: فهم في نعمة الحمد لله؛ فذهبت بالكتاب إلى الرجل الذي كان أوصل كتاب الرجل، فقال: ويحك، لو أن أبا عبد الله قبل هذا الشيء ورمى به مثلًا في الدجلة، كان مأجورًا؛ لأن هذا رجل: لا يعرف له معروف، فلمَّا كان بعد حين، ورد كتاب الرجل بمثل ذلك، فرد عليه الجواب بمثل ما رد؛ فلمَّا مضت سنة، أو أقل أو أكثر، ذكرناها، فقال: لو كنا قبلناها: كانت قد ذهبت»[١].

□ عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: «حدثني أبي، قال: عرض علي يزيد بن هارون خمسمئة درهم، أو أكثر أو أقل؛ فلم أقبل منه، وأعطى يحيى بن معين، وأبا مسلم المستملي، فأخذا منه»[٢].

□ عن حمدان بن سنان الواسطي: «قدم علينا أحمد بن حنبل ومعه جماعة، قال: فنفدت نفقاتهم، فأخذوا؛ قال: وجاء أحمد بن حنبل بفروة، فقال: قل لمن يبيع هذه، ويجيئني بثمنها، فأتسع به؛ قال: فأخذت صرة دراهم، فمضي بها إليه، فردها؛ قال: فقالت امرأتي: هذا رجل صالح،

---

(١) «الحلية» (٩/ ١٧٨).

(٢) «الحلية» (٩/ ١٧٧).

لعله لم يرضها فأضعِفها، قال: فأضعفتها، فلم يقبل؛ فأخذ الفروة مني وخرج»[١].

□ عن أيوب السختياني، قال: «لا يستوي العبد، أو لا يسود العبد، حتى يكون فيه خصلتان: اليأس مما في أيدي الناس، والتغافل عمَا يكون منهم»[٢].

□ عن عبد الرزاق قال: «قدم علينا أحمد بن حنبل ها هنا، فقام سنتين إلَّا شيئًا، فقلت له: يا أبا عبد الله، خذ هذا الشيء فانتفع به، فإن أرضنا ليست بأرض متجر ولا مكسب - وأرانا عبد الرزاق كفه، ومدها فيها دنانير - قال أحمد: أنا بخير؛ ولم يقبل مني»[٣].

□ قال ذو النون رحمه الله:

لبست بالعفة ثوب الغنى ... فصرت أمشي شامخ الراس
أنطق لي الصبر لساني ... فما أخضع بالقول لجلاسي
إذا رأيت التيه من ذي الغنا ... تهت على التائه باليأس[٤]

□ عن الفضل بن محمد البيهقي قال: «سمعت أبي يقول: سمعت وكيعًا يقول -وقد جاءه رجل يناظره في شيء من أمر المعاش، أو الورع -؛ فقال له وكيع: من أين تأكل؟ قال: ميراثًا ورثته عن أبي، قال: من أين هو لأبيك؟ قال: ورثه عن أبيه، قال: من أين هو كان لجدك؟ قال: لا أدري؛

---

(١) «الحلية» (٩/ ١٧٧).

(٢) المصدر السابق (٥/ ٣).

(٣) «الحلية» (٩/ ١٧٤ - ١٧٥).

(٤) «الحلية» (٩/ ٣٧).

فقال له وكيع: لو أن رجلًا نذر: لا يأكل إلَّا حلالًا، ولا يلبس إلَّا حلالًا، ولا يمشي إلَّا في حلال، لقلنا له: اخلع ثيابك، وارم بنفسك في الفرات، ولكن لا تجد إلَّا السعة؛ ثم قال وكيع: لو أن رجلًا بلغ في ترك الدنيا مثل: سلمَان، وأبي ذر، وأبي الدرداء، ما قلنا له: زاهدًا؛ لأن الزهد لا يكون إلَّا على ترك الحلال المحض، والحلال المحض لا نعرفه اليوم، فالدنيا عندنا: حلال، وحرام، وشبهات، فالحلال: حساب، والحرام: عذاب، والشبهات: عتاب؛ فأنزِل الدنيا بمنزل الميتة، خذ منها ما يقيمك، فإن كانت حلالًا: كنت قد زهدت فيها، وإن كانت حرامًا: كنت قد أخذت منها ما يقيم؛ لأنه لا يحل لك من الميتة، إلَّا قدر ما يقيمك؛ وإن كانت شبهات: كان فيها عتاب يسير»[1].

□ عن أبي الحسن بن أبي الورد قال: «قال رجل: أتينا عليَّ بن بكار، فقلنا له: حذيفة المرعشي يقرأ عليك السلام؛ فقال: عليكم وعليه السلام، إني لأعرفه يأكل الحلال منذ ثلاثين سنة»[2].

□ عن محمد بن موسى بن حماد اليزيدي قال: «حُمل إلى الحسن بن عبد العزيز الجروي ميراثه من مصر: مئة ألف دينار، فحمل إلى أحمد بن حنبل ثلاثة أكياس، في كل كيس ألف دينار؛ فقال: يا أبا عبد الله، هذه من ميراث حلال، فخذها، واستعن بها على عيلتك؛ قال: لا حاجة لي بها، أنا في كفاية؛ فردّها، ولم يقبل منها شيئًا»[3].

---

(١) المصدر السابق (٨/ ٣٧٠).

(٢) «الحلية» (٩/ ٣١٨).

(٣) «الحلية» (٩/ ١٧٥).

□ كان غلام من الصيرفة يختلف إلى أحمد بن حنبل، فناوله يومًا درهمين فقال: اشتر بهما كاغدًا، فخرج الغلام، واشترى له، وجعل في جوف الكاغد خمسمئة دينار، وشدّه، وأوصله إلى بيت أحمد؛ فسأل، وقال: حُمل إلينا من البياض؟ فقالوا: بلى، فوضع بين يديه، فلمَّا أن فتحه، تناثرت الدنانير؛ فردّها في مكانها، وسأل عن الغلام، حتى دُل عليه، فوضعه بين يديه؛ فتبعه الفتى، وهو يقول: الكاغد اشتريته بدراهمك، خذه؛ فأبى أن يأخذ الكاغد أيضًا[(١)].

□ عن شقيق البلخي قال: «لقيت إبراهيم بن أدهم في بلاد الشام، فقلت: يا إبراهيم، تركت خراسان؟ فقال: ما تهنيت بالعيش إلَّا في بلاد الشام، أفر بديني من شاهق إلى شاهق، ومن جبل إلى جبل، فمن يراني يقول: موسوس، ومن يراني يقول: هو حمال؛ ثم قال لي: يا شقيق، لم ينبل عندنا من نبل بالحج، ولا بالجهاد، وإنمَا نبل عندنا من نبل: من كان يعقل ما يدخل جوفه – يعني: الرغيفين من حله –؛ ثم قال: يا شقيق، إذا أنعم الله على الفقراء، لا يسألهم يوم القيامة: لا عن زكاة، ولا حج، ولا عن جهاد، ولا عن صلة رحم؛ إنمَا يسأل هؤلاء المساكين؛ يعني: الأغنياء»[(٢)].

□ عن علي بن هشام القرشي قال: «جاء سفيان الثوري إلى صيرفي بمكة، يشتري منه دراهم بدينار، فأعطاه الدينار، وكان معه آخر، فسقط من سفيان، فطلبه، فإذا إلى جانبه دينار آخر؛ فقال له الصيرفي: خذ

---

(١) «الحلية» (٩/ ١٧٦).

(٢) «الحلية» (٧/ ٣٦٩- ٣٧٠).

دينارك، قال: ما أعرفه؛ قال: خذ الناقص، قال: فلعله الزائد؟ قال: فتركه ومضى»[١].

□ عن خلف بن تميم قال: «قلت لإبراهيم بن أدهم: مذ كم نزلت بالشام؟ قال: منذ أربع وعشرين سنة، ما نزلتها لجهاد، ولا لرباط؛ فقلت: لأي شيء نزلتها؟ قال: لأشبع من خبز حلال»[٢].

□ عن الحكيم – يعني: ابن عمر– قال: «شهدت عمر بن عبد العزيز، وأرسل غلامه يشوي بكبكة من لحم، فعجل بها؛ فقال: أسرعت بها، قال: شويتها في نار المطبخ، وكان للمسلمين مطبخ، يغديهم، ويعشيهم؛ فقال لغلامه: كلها يا بني، فإنك رُزِقْتَها، ولم أُرْزَقْها»[٣].

□ وعن أبي سليمَان الداراني قال: «القناعة أوَّلُ الرِّضا، والورع أوَّلُ الزهد»[٤].

أحادِيث عَطِرة في القناعة:

قد أوردنا أحاديث في صدر الفصل ذكرنا فيها فضل القناعة ونُورِد هنا أحاديث أُخرى:

• عن عمرو بن تَغْلِبَ رضي الله عنه قال: أعْطَى رسولُ الله ﷺ قَوْمًا ومنَعَ آخَرينَ، فكأَنَّهُمْ عتبُوا عليه فقال: «**إِنِّي أُعْطِي قَوْمًا أَخَافُ ظَلَعَهُمْ**

---

(١) «الحلية» (٧/ ٥٣).

(٢) «الحلية» (٧/ ٣٥٣).

(٣) «الحلية» (٥/ ٢٩١).

(٤) المصدر السابق (٩/ ٢٥٧).

وجَزَعَهُمْ(١) **، وأَكِلُ أقوامًا إلى ما جعلَ اللهُ في قَلُوبِهِمْ مِنَ الخيْرِ والغِنَى، مِنْهُم عمْرُو بنُ تَغْلِبَ».** فقال عمرو بن تغلب: ما أحبُّ أنَّ لي بكلمة رسولِ الله ﷺ حُمْرَ النَّعَمِ. زاد أبو عاصمٍ عن جريرٍ قال: سمِعْتُ الحسن يقولُ: حدَّثنا عمرُو بن تغْلِبَ أنَّ رسول الله ﷺ أتِيَ بمَالٍ أو بِسَبْي فقسَمَهُ.. بهذا»(٢).

• عن أبي أمامةَ رضي الله عنه عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «**إنَّ أَغْبَطَ أَوْلِيَائي عندي لمؤْمنٌ خَفِيفُ الحَاذِ**(٣)**، ذُو حَظٍّ مِنَ الصَّلاةِ، أحْسَنَ عبادَةَ ربِّه وأطاعَهُ في السِّرِّ، وكان غَامضًا في النَّاس، لا يُشَارُ إليه بالأصابع، وكان رِزْقُهُ كفافًا، فصبرَ على ذلك، ثُمَّ نفضَ بيده، فقال: عُجِّلَت منيتهُ، وقلتْ بواكِيهِ، قَلَّ تُرَاثُهُ**». وبهذا الإسنادِ عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «**عَرَضَ عليَّ رَبِّي ليجْعَلَ لي بطْحَاءَ مكَّةَ ذهبًا، قلتُ: لا يا ربِّ، ولكنْ أشبعُ يومًا، وأجُوعُ يومًا وقال: ثلاثًا أو نحو هذا – فإذا جُعْتُ تضرَّعْتُ إليك وذكرتُكَ، وإذا شَبِعْتُ شكرتك وحمدْتُكَ**»(٤).

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**انْظُروا إلى مَنْ أَسْفَلَ**

---

(١) ظلعهم: اعوجاجهم. والجزع: نقيض الصبر على الجزع، والمراد به هنا مرض القلب وضعف اليقين.

(٢) رواه البخاري (٣١٤٥).

(٣) قال ابن الأثير: الحاذ في الأصل بطن الفخذ، وقيل: هو الظهر، والمُراد في الحديث: الخفيف الظهر من العيال، القليل المال، القليل الحظ من الدنيا انظر: «جامع الأصول» (١٠/ ١٣٨).

(٤) إسناده حسن: رواه الترمذي (٢٣٤٧) واللفظ له وقال: هذا حديث حسن، وقال محقق «جامع الأصول» (١٠/ ١٣٧): «إسناده حسن».

مِنْكُمْ، ولا تنْظُرُوا إلى مَنْ هو فوْقَكُمْ. فهو أجْدَرُ أنْ لا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ الله»(١).

• عن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: سألتُ رسول الله ﷺ فأعْطَاني، ثُمَّ سألتُهُ فأعْطَاني، ثُمَّ سألتُه فأعْطَاني، ثُمَّ قال: «**يا حَكِيمُ، إنَ هذا المالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فمَنْ أخذَهُ بسَخَاوَةِ نفْسٍ بُورِكَ له فيه، ومنْ أخَذَهُ بإشْرَافِ نفسٍ لم يُبارِكْ لهُ فيه، كالذي يَأكُلُ ولا يَشبَعُ، اليدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليدِ السُفْلَى**». قال حكيمٌ: فقلت: يا رسول الله، والذي بعثك بالحقِّ لا أرْزَأُ أحدًا (٢) بعْدك شيئًا حتى أفارقَ الدُّنيا. فكان أبو بكرٍ رضي الله عنه يَدعو حكيمًا إلى العطاء فيأبى أن يقْبلهُ منه. ثمَّ إنَّ عمر رضي الله عنه دعاهُ ليُعْطيَهُ فأبَى أنْ يقْبل منهُ شيئًا. قال عمرُ: إنِّي أشهدكم يا معشر المسلمين على حكيمٍ أنِّي أعْرِضُ عليه حقَّهُ من هذا الفَيْءِ فيأبى أن يأخذه فلم يرْزَأْ حكيمٌ أحدًا من الناسِ بعد رسولِ الله ﷺ حتى تُوفيَ»(٣).

وقد ورد بلفظ آخرُ:

• عن حكيم بن حزام أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**اليد العليا خير من اليد السفلى**». قلت: ومنك يا رسول الله؟ قال: «**ومني**». قلت: والذي بعثك بالحق لا أخذ من أحد بعدك عطية. قال: «**وليبدأ أحدكم بمن يعول، وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى، ومن يستعف يعفه الله، ومن**

---

(١) رواه البخاري (١١/ ٦٤٩٠)، ومسلم (٢٩٦٣) واللفظ له.

(٢) لا أرزأ أحدًا: أي لا أصيب من ماله بالطلب منه ولا أنقصه شيئًا.

(٣) رواه البخاري (١٤٧٢) واللفظ له، ومسلم (١٠٣٥).

يستغن يغنه الله»(١). قال: قلت: ومنك يا رسول الله؟ قال: «ومني». قلت: والذي بعثك بالحق، لا تكون يدي تحت يد رجل من العرب بعدك ما حييت أبدًا. قال: فما رزأ من النبي ﷺ شيئًا حتى قبضه الله تعالى إليه، ولا من أبي بكر، ولا عمر، ولا عثمان حتى مات رضي الله عنه.

□ عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: «اشتكَى سلمَانُ، فعادَهُ سعْدٌ، فرآهُ يبكي، فقال لهُ سعدٌ: ما يُبْكِيكَ يا أخي؟ أليس قد صحبْتَ رسول الله ﷺ؟ أليس أليْسَ؟ قال سلمَانُ: ما أبْكي واحدةٌ من اثنتين، ما أبْكِي حنينًا للدُّنيا، ولا كراهيةً للآخرة، ولكن رسولُ الله ﷺ عهد إليَّ عهْدًا، فمَا أراني إلَّا قد تعدَيْتُ. قال: وما عَهِدَ إليك؟ قال: عهدَ إليَّ أنَّهُ يكفي أحدكم مثلُ زَادِ الرَّاكبِ، ولا أراني إلَّا قدْ تعدَّيْتُ، وأمَّا أنت يا سعد، فاتق الله عند حُكْمِكَ إذا حكمت، وعند قَسْمِكَ إذا قسمْتَ، وعند همِّكَ إذا هَممْتَ، قال ثابتٌ: فبلغني أنَّهُ ما ترك إلَّا بضْعَةً وعشرين درهمًا من نفقةٍ كانت عندهُ»(٢).

---

(١) صحيح: أخرجه عد الرزاق في «مصنفه» (٢٠٠٤١)، وأحمد (٣/ ٣٤٣)، والبخاري (١٤٧٢)، (٢٧٥٠)، (٢١٤٣)، (٦٤٤١)، ومسلم (١٠٣٥)، والترمذي (٢٥٨١)، والنسائي (٥/ ١٠١- ١٠٢).

(٢) صحيح: رواه ابن السني في «القناعة» (٤٨)، وقال: حديث صحيح وللحديث طرق عدة من سلمان يصح بها قطعًا وقد أخرجه من طريق الحسن: وكيع في «الزهد» (٦٧)، وأحمد في «المسند» (٥/ ٤٣٨) و«الزهد» (٢٨، ٢٩)،وابن سعد في «الطبقات» (٤/ ٩١) وغيرهم، وطرق أخرىٰ عن سلمان منها: رواية أنس بن مالك عند ابن ماجه (٤١٠٤) واللفظ له، والطبراني في «الكبير» (٦/ ٢٧٩) وقال ابن السني: وهذا إسناد جيِّد قوي.

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَيْسَ الغنَى عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ**[١] **ولكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ**»[٢].

• عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن رسولِ الله ﷺ قال: «**ما طَلَعَتْ شَمْسٌ قَطُّ إلَّا وبجنبتيها ملكَانِ، إنَّهُمَا يُسْمِعَانِ أَهْلَ الأَرْضِ إلَّا الثَّقَلَيْنِ: أَيُّها الناسُ، هَلُمُّوا إلى ربِّكُمْ، فإنَّ ما قَلَّ وكَفَى خيرٌ ممَّا كثر وألهى، وما غَربتْ شمْسٌ قطُّ إلَّا وبجنبتيها ملكانِ يُنادِيَان: اللهمَّ عجِّلْ لمُنْفِقٍ خَلَفًا وعجِّلْ لِمُمْسِكٍ تَلَفًا**»[٣].

• **عن ثوبان قال**: قال رسول الله ﷺ: «**من يتقبل لي بواحدة أتقبل له بالجنة؟**». **قال ثوبان**: أنا. قال: «**لا تسأل الناس شيئًا**»[٤].

قال: فكان ثوبان تسقط عِلاقةُ[٥] سوطه فلا يأمر أحدًا أن يناوله،

---

(١) العرض: هو متاع الدنيا. ومعنىٰ الحديث: الغنىٰ المحمود غنىٰ النَّفْس وشبعها وقلة حرصها، لا كثرة المال مع الحرص علىٰ الزيادة، لأن من كان طالبًا للزيادة لم يستغن بما معه، فليس له غنىٰ.

(٢) رواه البخاري (٦٤٤٦)، ومسلم (١٠٥١).

(٣) صحيح: رواه ابن السني في «القناعة» (٥٧) وقال مخرجه: سنده صحيح، ورجاله ثقات. وذكره الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٤٥) واللفظ له، وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

(٤) صحيح: أخرجه أحمد (٥/ ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٨١)، وأبو داود (١٦٣٩)، والنسائي (٥/ ١٠٠)، وابن حبان (٥/ ١٦٤)، والطبراني في «الكبير» (١٤٣٣)، (١٤٣٥).

(٥) العِلاقةُ: المعلاق الذي يُعلقُ به الإناء، وعلاقة السيف والسوط، ما في مقبضه من السير.

وينزلِ هو فيأخذها.

□ وعن أبي ذر ﷺ قال: «أوصاني خليلي ﷺ أن لا أسأل أحدًا شيئًا. قال: فكان يقع السوط من يده، فينزل فيأخذه»(١).

• عن أبي ذر ﷺ قال: دعاني رسول الله ﷺ فقال: «**هل لك في بيعة ولك الجنة؟**».

قلت: نعم، فبسطت يدي، فقال رسول الله ﷺ، وهو يشترط عليَّ: «**لا تسأل الناس شيئًا**» قلت: نعم. قال: «**ولا سوط إن سقط منك، حتى تنزل فتأخذه**»(٢).

وكان حكيم بن حزام **لا** يسأل خادمه أن يسقيه ماء، ولا يناوله ما يتوضأ به(٣).

• عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لأن يحتطب أحدكم على ظهره، فيقي به وجهه، خير له من أن يسأل رجلًا أعطاه أو منعه**»(٤).

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٥/ ١٥٩)، وابن سعد في «طبقاته» (٤/ ٢٢٩) وابن حبان (١/ ٣٣٧) من طريق سلام أبي المنذر عن حمد بن واسع عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر، وسنده حسن، فيه سلام بن سليمان المزني، أبو المنذر النحوي، صدوق يهم، أخرج له الترمذي، والنسائي، ولكن تابعه الأسود بن شيبان عند ابن حبان، وهو ثقة عابد، وتابعه إسماعيل بن أبي خالد عند الطبراني في «الكبير» (١٦٤٨).

(٢) حسن بشواهده: أخرجه أحمد (٥/ ١٧٢) بسند فيه انقطاع، وابن أبي الدنيا في «القناعة والتعفف» رقم (٣) (ص١٨) واللفظ له، ويشهد له الطرق السابقة.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «القناعة والتعفف» (٥/ ١٨).

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (١٤٧١)، (٢٠٧٥)، (٢٣٧٣) بنحوه، ومسلم (١٠٤٢)، ومالك (٣/ ١٥٩) في «الموطأ»، والترمذي (٦٨٠)، والنسائي =

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَأَنْ يأخذ أحدُكم حَبْلَه، ثم يغدو إلى الجبل فيحْتَطِب، فيبيعَ، فيأكلَ، خيرٌ من أن يسأل الناس**»[١].

• وعن الزبير بن العوَّام رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَأَن يأخذَ أحدُكم حَبْلَه فيأتيَ الجَبَلَ، فيجيءَ بِحِزْمَة الحطب على ظهرِهِ، فيبيعها، فيَكفَّ الله بها وَجْهَهُ، خيرٌ لهُ من أن يسأل الناس، أعطوْهُ، أوْ منعوه**»[٢].

• وعن حكيم بن حزام قال: سألت رسول الله ﷺ عن هذا المَال، فقال: «**ما أنكَرَ مسألَتَك يا حكيم! إن هذا المال خضر حلو، وإنه أوساخ أيدي الناس، وإن يد الله فوق يد المعطي، ويَدُ المُعْطِي فوق يَد المُعْطَى، ويد المُعْطَى أسفل الأيدي**»[٣].

• وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اليد العليا**

(٥/ ٩٦)، وابن ماجه (١٨٣٦)، وأحمد (١/ ١٦٧)، (٢/ ٣٠٠)، (٢/ ٣٩٥، ٤٩٦)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣/ ٢٠٩)، وعبد الرزاق في «المصنف» (١١/ ٩١)، كلهم من حديث أبي هريرة بنحوه، أو بلفظه. وأخرجه البخاري (١٤٧١)، (٢٠٧٥)، (٢٣٧٣) من حدث عبد الله بن الزبير.

(١) رواه البخاري، ومسلم، والنسائي.

(٢) رواه أحمد، والبخاري، وابن ماجه.

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٣٤٣)، والبخاري (١٤٧٢)، (٢٧٥٠)، (٢١٤٣)، (٦٤٤١)، ومسلم (١٠٣٥)، والترمذي (٢٥٨١)، والنسائي (٥/ ١٠١- ١٠٢)، وابن حبان (٥/ ٩١، ١٧٠)، والبغوي في «شرح السنة» (١٦١٩)، والطبراني في «الكبير» (٣٠٧٨)، (٣٠٧٩)، (٣٠٨٠)، (٣٠٨١)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ١٩٦).

خير من اليد السفلى»[(١)].

فمَا سأل عمر بن الخطاب بعد شيئًا ممن سواه.

• وعن القعقاع بن حكيم قال: «بعث عبد العزيز بن مروان إلى عبدالله بن عمر أن ارفع إليَّ حاجتك، فكتب إليه عبد الله بن عمر: إن رسول الله ﷺ قال: «**إن اليد العليا خير من اليد السفلى**»[(٢)]. فلست أسألك شيئًا، ولا أرد رزقًا رزقنيه الله تعالى.

□ وعن نافع أن المختار بن أبي عبيد كان يُرسِل إلى عبد الله بن عمر المال فيقبله، ويقول: «لا أسأل أحدًا شيئًا، ولا أردُّ ما رزقني الله تعالى»[(٣)].

• عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من سأل الناس ولهُ ما يُغنيه، جاء يوم القيامة ومسألتُه في وجهه خموشٌ، أو خُدُوش، أو كُدُوح**[(٤)]،

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٢/ ٤، ٦٧، ٩٨، ١٥٢)، والطبراني في «الكبير» كما في «كنز العمال» (١٦٠٨١)، و«مجمع الزوائد» (٣/ ٩٨) وقال: رجاله ثقات. أخرجه البخاري (٥٣٥٥)، ومسلم (١٠٤٢)، وأحمد (٢/ ٢٣٠، ٢٤٣، ٢٧٨، ٢٨٨، ٣١٩، ٣٦٢، ٣٩٤، ٣٤٣، ٤٧٥، ٥٠١، ٥٢٤، ٥٢٧) بنحوه من حديث أبي هريرة. أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢٧٢٦) من حديث ابن عباس، وسنده ضعيف. وفي الباب عن حكيم بن حزام وقد مَرَّ، وطارق المحاربي، وأبي أمامة وعطية السعدي، وجابر، وعمران بن حصين وسمرة معًا، ومالك بن نضلة.

(٢) صحيح: انظر السابق.

(٣) صحيح: أخرجه ابن سعد (٤/ ١٥٠)، وأورده الذهبي في «السير» (٣/ ٢٢٠، ٥٤٤)، وابن الأثير في «أسد الغابة» (٥/ ١٢٣).

(٤) هذه الألفاظ متقاربة المعاني: جمع «خمش» و«خدش» و«كدح»، قال الخطابي: الخموش، هي الخدوش والكدوح: الآثار من الخدوش أو القضّ ونحوه والخمش في الوجه، والخدش في الجلد، والكدح فوق الجلد، فيكون الخمش =

قيل: وما الغِني؟ قال: خمسون درهمًا، أو قيمتها من الذهب»[(١)].

• وعن سهل بن الحنظلية قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سأل شيئًا وعنده ما يُغنيه، فإنما يستكثرُ من جمر جهنم»، قالوا: وما يغنيه؟ قال: «قدْرُ ما يغدِّيه ويعشيه»[(٢)].

• وعن حبشي عن جنادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الذي يسأَلُ من غير حاجة كمثل الذي يلتقِطُ الجَمْر»[(٣)].

• وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من سأَلَ من غيرِ فقرٍ فكأنّما يأكلُ الجمرَ»[(٤)].

• وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن سأَلَ وله أربعون

أبلغ في معناه من الخدش، وهو أبلغ من الكدح.

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٥/ ٢٧٥)، وأبو داود (١٦٤٣)، والترمذي (٦٤٥)، والنسائي (٥/ ٩٦)، وابن ماجه (١٨٣٧)، والدارمي (١/ ٣٨٦)، والحاكم (١/ ٤٠٧)، والطبراني في «الكبير» (١٠٩٩)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٤٩٩) و«صحيح الجامع» (٦٢٧٩). قال الترمذي: وبه يقول الثوري، وعبدالله ابن المبارك، وأحمد، وإسحاق، قالوا: إذا كان عند الرجل خمسون درهمًا لم تحل له الصدقة. ولم يذهب بعض أهل العلم إلى هذا، وقالوا: إذا كان عنده خمسون درهمًا، أو أكثر وهو محتاجٌ له أن يأخذ من الزكاة، وهو قول الشافعي وغيره من أهل الفقه والعلم.

(٢) صحيح: رواه أحمد (٤/ ١٨٠- ١٨١)، وأبو داود (١٦٢٩)، وابن حبان (٨٤٤، ٨٤٥)، والحاكم في «المستدرك»، والطبراني في «الكبير» (٥٦٢٠)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٧٩٩)، و«صحيح الجامع» (٦٢٨٠).

(٣) صحيح: رواه البيهقي في «شعب الإيمان» وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٧٩٦)، و«صحيح الجامع» (٥٤٩٥).

(٤) صحيح: رواه أحمد، وابن خزيمة، والضياء، والطحاوي وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٧٩٦)، و«صحيح الجامع» (٦٢٨٠).

دِرْهَمًا، فهو المُلْحِفُ»(١).

• وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من سأل وله قيمةُ أُوقيَّةٍ، فقد أَلْحَف»**(٢).

• وعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَن سأَلَ الناس مسألةً وهو عنها غني، كانت شينًا في وجهه يوم القيامة»**(٣).

• وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مسألة الغنيِّ شيْنٌ في وجهه يوم القيامة»**(٤).

• وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«سُؤالُ الفقير شين في وجهه يوم القيامة، وسُؤالُ الغَنيِّ نارٌ في وجهه، إن أُعطي قليل فقليل، وإن أُعطي كثير فكثير»**(٥).

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ سأل الناسَ**

---

(١) رواه النسائي عن ابن عمرو، والطبراني في «الكبير»، وأبو نعيم في «الحلية» عن أبي ذر، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٧١٩)، و«صحيح الجامع» (٦٢٨٢).

(٢) صحيح: رواه أبو داود، وابن حبان، ومالك، وأحمد، والنسائي، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٧١٩)، و«صحيح الجامع» (٦٢٨٣).

(٣) صحيح: أخرجه أحمد (٥/ ٢٨١)، والطبراني، والبزار، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٨١)، وقال الهيثمي: رجال أحمد رجال «الصحيح».

(٤) صحيح: أخرجه أحمد (٤/ ٤٢٦، ٤٣٦)، والطبراني في «الكبير» (٣٦٢)، وقال الهيثمي في «المجمع»: رواه أحمد والبزار، ورجال أحمد رجال «الصحيح». وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٧٩٣)، و«صحيح الجامع» (٥٨٧١).

(٥) صحيح: أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٨/ ١٦٢، ١٧٥)، قوله: شيْن، الشَّيْن خلاف الزَّيْن، والشين العَيْب.

تَكَثُّرًا[١]**، فإنما يسأل جَمْرًا، إن شاء فليُقِلَّ، وإن شاء فليُكثر**»[٢].

• عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن هذه المسائل كَدٌّ يَكُدُّ بها الرجل وجهه، فمن شاء أبقى على وجهه، ومن شاء ترك، إلَّا أن يسأل الرجل ذا السلطان في أمر لا يجد منه بُدًّا**»[٣].

• وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أُعطيت شيئًا من غير أن تسأل، فَكُلْ وتصدق**»[٤].

• وعن معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تُلْحِفُوا في المسألة، فوالله لا يسألني أحدٌ منكم شيئًا فتُخرِجَ له مسألتُه مني شيئًا وأنا له كارهٌ، فيبارك له فيما أعطيتهُ**»[٥].

• وعن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَجْمِلوا في طلب الدنيا، فإن كُلًّا مُيَسَّرٌ لِمَا كُتِبَ له منها**»[٦].

---

(١) تكثرًا: أي ليكثر ماله، لا للاحتياج والضرورة.

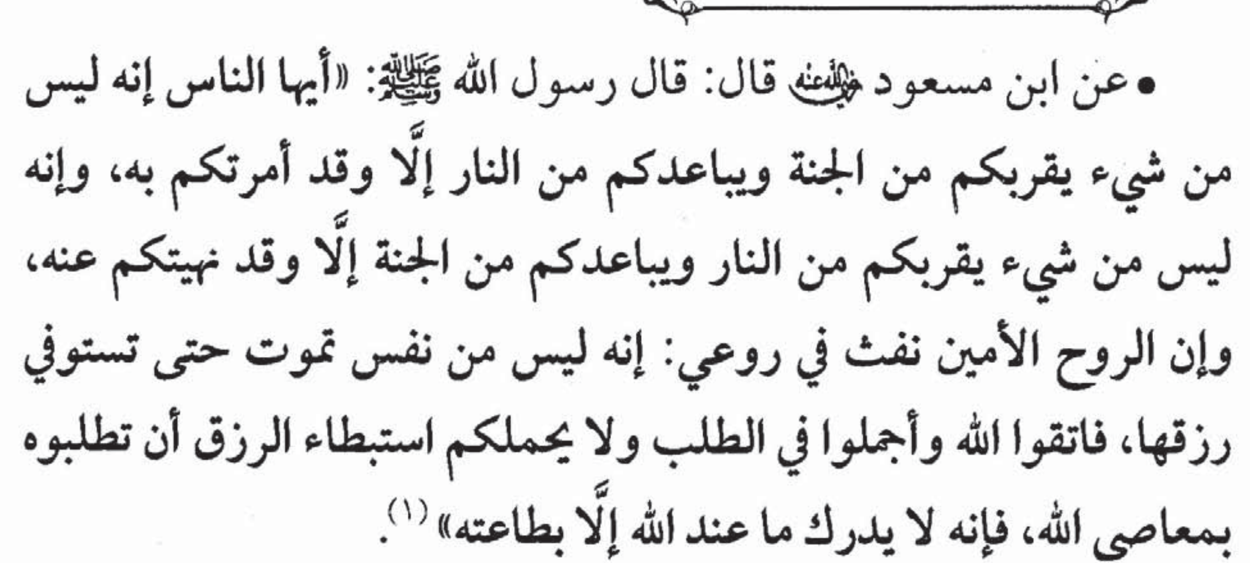
(٢) رواه مسلم (١٠٤١)، وأحمد (٢/ ٢٣١)، وابن ماجه (١٨٣٨)، والبغوي (٦/ ١٢١) في «شرح السُّنَّة».

(٣) صحيح: أخرجه أحمد (٥/ ١٠، ١٩، ٢٢)، وأبو داود (١٦٣٩) والترمذي (٦٧٦)، والنسائي (٥/ ١٠٠)، وابن حبان (٥/ ١٦٤)، والطبراني في «الكبير» (٦٧٦٦، ٦٦٦٧، ٦٧٦٨، ٦٧٦٩، ٦٧٧٠، ٦٧٧١).

(٤) أخرجه البخاري (١٤٧٣)، (٧١٦٣)، (٧١٦٤) بنحوه، ومسلم (١٠٤٥)، وأحمد (١/ ٥٢) (١/ ١٧، ٢١)، وأبو داود (١٦٤٧)، والنسائي (٥/ ١٠٣).

(٥) أخرجه أحمد (٤/ ٩٨)، ومسلم (١٠٣٨)، والنسائي (٥/ ٩٧- ٩٨)، وابن حبان (٥/ ١٦٥)، والطبراني في «الكبير» (١٩/ ٣٤٨)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٤/ ١٩٦).

(٦) صحيح: أخرجه ابن ماجه (٢١٤٢)، وابن أبي عاصم (٤١٨)، في «السنة» وابن =



• عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس إنه ليس من شيء يقربكم من الجنة ويباعدكم من النار إلَّا وقد أمرتكم به، وإنه ليس من شيء يقربكم من النار ويباعدكم من الجنة إلَّا وقد نهيتكم عنه، وإن الروح الأمين نفث في روعي: إنه ليس من نفس تموت حتى تستوفي رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ولا يحملكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعاصي الله، فإنه لا يدرك ما عند الله إلَّا بطاعته»[(١)].

• وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن نَزَلت به فاقةٌ، فأنزلها بالناس، لم تُسَدَّ فاقتُه، ومن نَزَلت به فاقةٌ، فأنزلها بالله، فيُوشِكُ الله له برزْقٍ عاجلٍ أو آجل»[(٢)].

حبان (١٠٨٤)، والحاكم (٢/ ٣)، وصححه وأقره الذهبي، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢٦٥)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٥/ ٢٦٤)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٨٩٨)، و«صحيح الجامع» (١٥٧).

(١) صحيح: أخرجه ابن أبي شيبة كما في «الدر المنثور» (٥/ ٩٤)، والبغوي في «شرح السنة» (٤١١١)، و(٤١١٢)، (٤١١٣)، ورجاله ثقات وفيه انقطاعٌ. وله طريق أخرىٰ أخرجه منها الحاكم، في «مستدركه» (٢/ ٤) فيها أحد المجهولين. وله شاهدٌ من حديث جابر، أخرجه ابن حبان (١٠٨٤)، والحاكم (٢/ ٤) من طريق عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن محمد بن المنكدر عن جابر، وصححه علىٰ شرط الشيخين، وأقره الذهبي. وله شاهد من حديث جابر عند ابن ماجه (٢١٤٤)، والحاكم (٢/ ٤).

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٢٤٢٨) عن ابن مسعود، وكذا رواه أحمد (١/ ٤٠٧)، وأبو داود، والطبراني في «الكبير» (٩٧٨٥)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٠٨)، وابو نعيم في «الحلية» (٨/ ٣١٤)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٧٣)، (٨٣١)، و«صحيح الجامع» (٦٥٦٦).

• عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من نزلت به حاجة فأنزلها بالله عز وجل، أوشك أن يأتيه الله بالغنى إما عاجلًا أو آجلًا»**[1].

• وقال هلال بن حصين[2]: أتيت المدينة فنزلت دار أبي سعيد فضمني وإياه المجلس فحدث أنه أصبح ذات يوم وليس عنده طعام، وأصبح قد عصب على بطنه حجرًا من الجوع، قال: فقالت امرأتي: ائت النبي ﷺ فسله، فقد أتاه فلان فأعطاه، وأتاه فلان فأعطاه، فأبيت، وقلت حتى ألتمس شيئًا. فذهبت أطلب فانتهيت إلى النبي ﷺ وهو يخطب ويقول: **«من يستعف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن سألنا شيئًا فوجدناه أعطيناه، وواسيناه، ومن استعف عنا واستغنى فهو أحب إلينا ممن سألنا»**[3]. قال: فرجعت وما سألت شيئًا فرزقنا الله تعالى حتى ما أعلم أهل بيت من الأنصار أكثر أموالًا منا.

• وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من نزلت به حاجة، وأنزلها الناس لم تسد فاقته، فإن أنزلها بالله أوشك الله بآجل حاضر،**

---

(١) صحيح: وأخرجه أحمد (٣/ ٤٤٢) بلفظه، وبنحوه أخرجه أحمد (١/ ٤٠٧)، وأبو داود (١٦٤٥)، والترمذي (٢٤٢٨) وقال: حسن صحيح، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٣١٤)، والطبراني (٩٧٨٥) في «الكبير»، والحاكم (١/ ٤٠٨) في «مستدركه»، وصححه، وأقره الذهبي.

(٢) بصري، روى عنه أبو حمزة وقتادة، ذكره البخاري، وابن أبي حاتم، ولم يذكرا فيه جرحًا ولا تعديلاً. انظر: «التاريخ الكبير» (٤/ ٢/ ٢٠٤)، و«الجرح والتعديل» (١١/ ٧٣).

(٣) صحيح: أخرجه أحمد (٣/ ٤٤) بلفظه، وبنحوه أخرجه البخاري (١٤٦٩)، (٦٤٧٠)، ومسلم (١٠٥٣)، وأبو داود (١٦٤٤)، والترمذي (٢٠٩٣).

أو رزق عاجل»[١].

علو همة سيد البشر ﷺ في القناعة:

• عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يدْعُو: «**اللهُمَّ قَنِّعْني بما رزَقتَني، وبَارِكْ لي فيه واخْلُفْ عليَّ كُلَّ غائبةٍ لي بخَيْرٍ**»[٢].

□ عن عائشة رضي الله عنها أنَّها قالت لعُرْوةَ: ابن أُخْتي، إنْ كُنَّا لننْظُرُ إلى الهلال - ثلاثة أهلَّة في شهرين - وما أوقدتْ في أبياتِ رسول الله ﷺ نارٌ. فقلتُ: ما كان يعيشكُمْ؟ قالت: الأسودان: التَّمرُ والماءُ، إلَّا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيرانٌ من الأنْصار كان لهم منائِحُ[٣]، وكانوا يمنحون رسول الله ﷺ من أبياتهم، فيسقيناه»[٤].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اللهُمَّ ازرُقْ آل محمَّدٍ قُوتًا**»[٥].

□ عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان فراشُ رسولِ الله ﷺ من أدَمٍ

---

(١) صحيح: أخرجه ابن أبي الدنيا في «القناعة والتعفف» (٨٠) (ص٤٩)، وأخرجه بنحوه الترمذي، وأحمد، وأبو داود، والطبراني في «الكبير»، والحاكم في «المستدرك»، وأبو نعيم في «الحلية»، وقد مرّ قبل قليل.

(٢) الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٥٦) وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٣) المنائح جمع منيحة وهي العطية، والأصل فيها منحة اللبن كالناقة أو الشاة تعطيها غيرك يحتلبها ثم يردها عليك.

(٤) البخاري «الفتح» (١١/ ٦٤٥٩) واللفظ له، ومسلم (٢٩٧٣).

(٥) البخاري «الفتح» (١١/ ٦٤٦٠) واللفظ له، ومسلم (١٠٥٥). والقوت: ما يقوت البدن، ويكف عن الحاجة، وفيه دليل على فضل الكفاف، وأخذ البلغة من الدنيا والزهد فيما فوق ذلك.

حشْوُهُ لِيفٌ»[١].

□ عن قتادة رحمه الله قال: «كُنَّا نأتي أنسَ بن مالكٍ وخبازُهُ قائمٌ، وقال: كلوا، فما أعلمُ النبيَّ ﷺ رأى رَغيفًا مُرَقَّقًا حتَّى لَحِقَ بالله، ولا رأى شاةً سَمِيطًا[٢] بعيْنِهِ قَطُّ»[٣].

□ عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لقدْ توفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ وما في رَفِّي من شيءٍ يأكُلُهُ ذُو كَبِدٍ، إلَّا شطْرُ شَعيرٍ في رفٍّ لي، فأكَلْتُ منهُ حتَّى طالَ عليَّ، فأكلْتُهُ ففَنِيَ[٤]»[٥].

□ عن عائشة رضي الله عنها زَوْجِ النَّبيِّ ﷺ قالت: «لقَدْ ماتَ رسولُ ﷺ، وما شَبعَ من خبْزٍ وزَيْتٍ، في يومٍ واحدٍ، مرَّتين»[٦].

□ عن أنسٍ رضي الله عنه قال: «لم يَأْكُلِ النبيُّ ﷺ على خِوَانٍ[٧] حتَّى مات، وما أكَلَ خُبْزًا مُرَقَّقًا حتى مات»[٨].

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ أُحُدٍ**

---

(١) البخاري «الفتح» (١١/ ٦٤٥٦).

(٢) الشاة السميط والمسموطة التي نحي شعرها بالماء الحار.

(٣) البخاري «الفتح» (١١/ ٦٤٥٧).

(٤) فكِلْتُه فَفَنِي: أي: قِسْتُه ففرغ، وفيه أن الطعام المكيل يكون فناؤه معلومًا للعلم بكيله.

(٥) البخاري «الفتح» (١١/ ٦٤٥١)، واللفظ له، ومسلم (٤/ ٢٩٧٣).

(٦) مسلم (٢٩٧٤).

(٧) الخُوان – بضم الخاء وكسرها لغتان- للذي يؤكل عليه. واقتصر ابن حجر على أن الخاء مكسورة. «فتح الباري» (١١/ ٢٨٤).

(٨) البخاري «الفتح» (١١/ ٦٤٥٠).

ذَهَبًا ما يسُرُّني أنْ لا [(١)] يَمُرَّ عليَّ ثلاثٌ وعنْدِي مِنْهُ شيءٌ، إلَّا شيءٌ أرْصُدُهُ لِدَيْنٍ» [(٢)].

◻ عن عُرْوة عن عائشة رضي الله عنها قالتْ: «ما أكلَ آلُ مُحمَّدٍ ﷺ أكلتين في يومٍ إلَّا إحْدَاهما تَمْرٌ» [(٣)].

◻ عن عائشة رضي الله عنها أنَّها قالت: «ما شَبعَ آلُ محمدٍ ﷺ من خُبْزِ شعير، يومين متتابعين، حتَّى قُبِضَ رسول الله ﷺ» [(٤)].

◻ عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما شَبعَ آلُ محمدٍ منذُ قَدِمَ المدينة من طعام البُر ثلاثَ ليالٍ تباعًا حتَّى قُبِضَ» [(٥)].

---

(١) قال الحافظ ابن حجر: «لا» هنا زائدة.

(٢) البخاري «الفتح» (٥/ ٢٣٨٩) واللفظ له، ومسلم (٩٩١).

(٣) البخاري «الفتح» (١١/ ٦٤٥٥) واللفظ له، ومسلم (٢٩٧١).

(٤) مسلم (٢٩٧٠).

(٥) البخاري «الفتح» (١١/ ٦٤٥٤) واللفظ له، ومسلم (٢٩٧٠).

أقوال وآثار عن السلف وهمم مضيئة في القناعة

□ قال عمر رضي الله عنه: «أَلا أخبركُمْ بما أستَحِلُّ من مالِ الله تعالى: حُلَّتَانِ لشتائي وقَيْظِي[١]، وما يسعُنِي من الظَّهْرِ[٢] لحجِّي وعُمْرَتي، وقُوتي بعد ذلك كقوتِ رجلٍ من قُريشٍ لَسْتُ بأرْفَعِهِمْ ولا بأوْضَعِهم، فوالله ما أدْرِي أيَحِلُّ ذلك أَمْ لا؟»[٣].

□ وقال أيضًا: «إنَّ الطَّمع فقْرٌ، وإن اليأس غنًى، إنَّه من ييْأس عمَا في أيدي الناس استَغْنَى عنهم»[٤].

□ عن أبي عمرو الشيبانيِّ قال: «سأل موسَى عليه السلام ربَّهُ عز وجل: أي رب، أيُّ عبادَكَ أحبُّ إليك؟ قال: أكثرُهم لي ذكرًا. قال: يا رب، فأيُّ عبادك أغنَى؟ قال: أقنعهم بما أعطيتهُ. قال: يا ربِّ، فأيُّ عبادكَ أعْدَلُ؟ قال: من دانَ نفسَهُ»[٥].

□ كتب بعضُ بني أميَّة إلى أبي حازم يعزم عليه إلَّا رفع إليه حوائجَهُ فكتب إليه: «قد رفعتُ حوئجِي إلى مولاي، فما أعطاني منها قبلْتُ، وما أمسكَ عني قنِعْتُ»[٦].

---

(١) حُلَّتان لشتائي وقيظي: أي ثوب للشتاء وثوب للصيف.

(٢) من الظهر: أي ما يركب من الدواب.

(٣) «الإحياء» (٣/ ٢٤٠).

(٤) «إحياء علوم الدين» (٣/ ٢٣٩).

(٥) ابن السني في كتاب «القناعة» (٥١)، وقال محققه: رجاله ثقات مشهورون غير شيخ ابن السني واسمه جعفر بن عيسىٰ أبو أحمد الحلواني.

(٦) «الإحياء» (٣/ ٢٣٩)، و«القناعة» لابن السني (٤٣).

□ قال أبو ذُؤَيْب الهُذَلِيُّ:

والنَّفْسُ راغِبَةٌ إذا رغَّبْتَها ... وإذا تُرَدُّ إلى قليل تقْنَعُ [(١)]

□ قال ابن الأعرابي يخاطبُ نفسه:

لا تَحْسَبِي دَرَاهِمَ ابني مُدْلِج ... تأْتِيكِ حتَّى تُدْلِجِي [(٢)] وَتُولجِي [(٣)]

فاقْنَعِي بالعرْفَج [(٤)] المُسَحَّج [(٥)] ... وبالثمام [(٦)] وعَرَام [(٧)] العَوْسَج [(٨)]» [(٩)]

□ قال ابنُ القيِّم: «يكْمُلُ غِنَى القلْبِ بغِنًى آخَرَ، هو غِنَى النَّفْس، وآيتُهُ: سلامَتُهَا من الحظوظِ وبراءتُها من المُراءاة» [(١٠)].

□ قال الإمامُ الغزاليُّ: «كانَ محمدُ بن واسع يَبُلُّ الخبز اليابسَ بالمَاءِ ويأكُلُ ويقولُ: مَنْ قَنِعَ بهذا لم يحتجْ إلى أحدٍ» [(١١)].

□ قال بعضُ الحكمَاءِ: «وجدْتُ أطْولَ الناس غمًّا الحَسُودَ، وأهنأهم عيشًا القنوعَ، وأصبرهمْ على الأذى الحريصَ إذا طمعَ،

---

(١) «جمهرة أشعار العرب» (٢٤٢).

(٢) تدلجي: من أدلج إذا سار من أول الليل.

(٣) تولجي: من ولج يلج ولوجًا: أي دخل.

(٤) العرفج: نوع من الشجر البري.

(٥) المسحج: المقشر.

(٦) الثمام: نبت ضعيف له خوص أو شبيه بالخوص وَاحِدُهُ ثمامة.

(٧) العرام: ما سقط من قشر العوسج.

(٨) العوسج: واحده عوسجة وهي الشجرة الكبيرة من العضاه.

(٩) «جمهرة أشعار العرب» (٢٤٢).

(١٠) «تهذيب مدارج السالكين» (٤٧٤).

(١١) «الإحياء» (٣/ ٢٩٣).

وأخفضهم عيشًا أرْفضَهُم للدُّنيا، وأعظمهم ندامةً العالِم المفرِّط»[١].

□ قال قلاخٌ لأبي جهلٍ والحارثِ ابني هشام:

فَهَلْ يُخْلِدَنَّ ابنَيْ هشام غِنَاهُمَا وَمَا يَجْمَعَانِ مِنْ مئينَ ومِنْ أَلْفِ

يقُولانِ نَسْتَغْني وواللهِ ما الغِنَى من المالِ إلَّا ما يُعِفُّ وَمَا يَكْفِي[٢]

□ قال شاعرٌ:

اصْبِرْ عَلَى كِسْرَةٍ وَمِلْحِ فَالصَّبْرُ مِفْتاحُ كُلِّ زَيْنِ

وَلَا تَعَرِضْ لِمَدْحِ قَوْم يَدْعُ إلى ذِلَّةٍ وَشَيْنِ

وَاقْنَعْ فَإِنَّ القُنُوعَ عِزٌّ وَالذُّلُّ في شَهْوَةٍ بِدَيْنِ[٣]

□ وقال آخرُ:

رَضِيتُ مِنَ الدُّنْيَا بِقُوتٍ يُقِيمُنِي فَلَا أَبْتَغِي مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا فَضْلًا

وَلَسْتُ أَرُومُ القُوتَ إلَّا لأَنَّهُ يُعِينُ عَلَى علْم أَرُدُّ بِهِ جهْلًا

فما هَذِهِ الدُّنْيَا بِطِيبِ نَعِيمِهَا لأَيسَرِ مَا في العِلْم مِنْ نُكْتَةٍ عِدْلًا[٤]

□ وقال آخَرُ:

وللرِّزْقِ أَسْبابٌ تَرُوحُ وتَغْتَدِي وَإِنِّي مِنْهَا بَيْنَ غَادٍ وَرَائِحِ

قَنِعْتُ بِثَوْبِ العُدْم مِن حُلَّةِ الغِنَى وَمِنْ بَارِدٍ عَذْبٍ زُلالٍ بمالِحِ

---

(١) «القناعة» لابن السني (٥٨).

(٢) المصدر السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) المصدر السابق (٤٧).

(٤) «القناعة» لابن السني (٤٧).

□ وقال آخرُ:

كُـنْ بِمَـا أُوتيتَـهُ مُقْتَنِعًـا ... تَقْتَفِـي عَـيْشَ القَنُـوعِ الْمُكْتَفِـي

كَـسِرَاجٍ دُهْنُـهُ قُـوتٌ لَـهُ ... فَـإذا غَرَّقْتَـهُ فِيـهِ طُفِـي»[1]

□ قال بعضهم: «ازْهدْ بمَا عنْدَ الناسِ يُحبَّكَ الناسُ، وارغبْ فيمَا عند الله يحبَّكَ اللهُ»[2].

□ قيل لبعض الحكمَاء: «ما الغنى؟ قال: قِلَّةُ تَمَنِّيك، ورضاكَ بمَا يكْفيكَ»[3].

□ وقيل لبعض الحكمَاء: «ما مالُكَ؟ فقال: «التَّجَملُ في الظاهر، والقصْدُ في الباطِنِ، واليأسُ مما في أيْدِي الناسِ»[4].

□ وقيل في القَنَاعةِ:

اضْرَعْ إلى الله لا تضْرَعْ إلى النَّاسِ ... واقْنَعْ بِيأْسٍ فَإنَّ العِزَّ في اليـاس

واسْتَغْنِ عن كُلِّ ذي قُرْبي وذي رَحِم ... إن الغنيَّ من استغْنَى عن النـاس[5]

□ وقيل في هذا المعنى أيضًا:

يـا جَائِعًـا قَانِعًـا والـدَّهْرُ يَرْمُقُـهُ ... مُقَـدِّرًا أيَّ بـابٍ منـه يغلِقُـهُ

---

(١) المصدر السابق (٤١).

(٢) المصدر السابق نفسه، والصفحة نفسها. وفي معناه حديث مرفوع أخرجه ابن ماجه عن سهل بن سعد الساعدي مرفوعًا: «ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس»، وإسناده حسن كما في «الأربعين النووية» رقم (٣١).

(٣) «الإحياء» (٤/ ٢١٢).

(٤) المرجع السابق (٤/ ٢١٣).

(٥) المرجع السابق (٤/ ٢١٣).

مفكِّـرًا كيـف تأتيـه منيتُـهُ أغادِيًـا أمْ بهـا يَسْرِي فتطْرُقُـهُ

جَمَعْتَ مالًا فقُلْ لي هَلْ جَمَعْتَ لَـهُ يـا جَـامِع المـالِ أيَامًـا تُفرقُـهُ

المـالُ عِنْـدَكَ مخـزُونٌ لوارِثِـه مـا المـالُ مَالُـكَ إلَّا يـومَ تُنْفِقُـهُ

أرْفِهْ [1] ببَالِ فتًى يغْدُو على ثِقَةٍ أَنَّ الـذي قَسَّمَ الأرزاقَ يَرْزُقُـهُ

فالعِرْضُ مِنْـهُ مَصُونٌ مـا يُدَنِّسُهُ والوَجـه مِنْـهُ جدِيـد لـيس يُخْلِقُـهُ

إنَّ القناعَـةَ مَـنْ يَحْلُـلْ بسَاحتِهَا لمْ يَلْـقَ فِي ظِلِّهَـا هَمًّـا يُؤَرِّقُـهُ [2]

□ يروى أن الخليل بن أحمد الفراهيدي (المتوفَّى سنة ١٧٠هـ) رفض أن يكون مؤدبًا لابن سليمَانَ بن عليٍّ والي الأهوَازِ ثمَّ أخرجَ لرسوله خُبْزًا يابسًا، وقال له: ما دُمْتُ أجِدُ هذا فلا حاجة إلى سليمَان، ثم أنشد:

أَبْلِـغْ سُـلَيْمانَ أَنِّي عنْـهُ في سَـعَةٍ وفي غِنًـى غَـيْرَ أني لـستُ ذا مـالِ

شُـحًّا بنفـسي أَنِّي لا أرى أحـدًا يموتُ هَزْلًا ولا يَبْقَـى عـلى حـالِ

والفقرُ في النفسِ لا في المال نَعْرِفُـهُ ومِثْلُ ذاكَ الغِنَى في النفسِ لا المالِ [3]

□ وقال الشافعيُّ رحمه الله:

رأيـتُ القَنَاعَـةَ رَأْسَ الغِنَـى فَـصِرْتُ بأَذْيَالِهَـا مُمْـسِكْ

فَـلَا ذَا يَـرَانِي عَـلَى بَابِـهِ وَلا ذَا يَـرَانِي بِـهِ مُنْهَمِـكْ

---

(١) أرفهْ: أي ما أَرْفَهَ (وهي صيغة تعجُّب).

(٢) «الإحياء» (٤/ ٢١٣).

(٣) «الإحياء» (٤/ ٢١٣).

فَـصِرْتُ غَنِيًّـا بِـلَا دِرْهَـم أَمُرُّ عَلَى النَّاسِ شِبْهُ الْمَلِكِ [١]»[٢]

□ عن مُطرف بن عبد الله بن الشِّخِّير أنه قال لصاحب له: «إذا كانت لك إليَّ حاجة فلا تكلمني فيها، ولكن اكتبها في رقعة، ثم ارفعها إليَّ، فإني أكره أن أرى في وجهك ذل المسألة»[٣].

□ قال الشاعر:

لا تَحْسَبَنَّ الموتَ موت البِلَى فإنَّما الموتَ سؤالُ الرجالِ

كلاهما موتٌ ولكِنَّ ذا أشدُّ من ذاك لذُلِّ السؤالِ

□ وعن الأعمش قال: قال لي إبراهيم [٤]: اقعد أحدثك ما كتب إليَّ خيثمة بن عبد الله: «يا أبا عمران، إذا كانت لك حاجة فارفع إليَّ، ولا تسألني، فإني أكره أن أرى في وجهك ذل المسألة»[٥].

□ وقال سعيد بن العاص لابنه: «يا بني قبَّح الله المعروف، إذا لم يكن ابتداء عن غير مسألة، فأما إذا أتاك ترى دمه في وجهه، ومخاطرًا لا يدري أتعطيه، أم تمنعه، فوالله لو خرجت له من جميع مالك ما كافئته»[٦].

---

(١) «ديوان الشافعي» (١٠٢).

(٢) «نضرة النعيم» (ص٣١٧٣- ٣١٧٥).

(٣) «روضة العقلاء» لابن حبان (ص١٤٦)، و«الأحياء» (٢/ ٢١٠)، و«سير أعلام النبلاء» (٤/ ١٩٤)، و«بهجة المجالس» (١/ ١٦٨)، وهو صحيح.

(٤) إبراهيم النخعي.

(٥) «القناعة والتعفف» (ص٣٢).

(٦) المصدر السابق (ص٣٢).

□ وقال الفضيل بن عياض: قال لي سفيان [١]: قال لي منصور [٢]: «إن الرجل ليسقني الشربة من الماء فيدق بها ضلعًا من أضلاعي» [٣].

□ قال الشاعر:

لبوسُ ثوبيْن بَالِيَيْنِ … وَطَيُّ يوم وليلتيْنِ
أهونُ من مِنَّةٍ لقوم … أَغُضُّ منها جفونَ عيْنِي
إني وإن كنتُ ذَا عِيالٍ … قليلَ مالٍ كثيرَ دَيْن
لمستَعِفٌّ برزقِ ربي [٤] … حوائجي بينه وبيني [٥]» [٦]

نقل الصخور من الجبال أخف من السؤال:

□ قال الشاعر:

ونَقْلُ الصَّخرِ من تلك الجبالِ … أخفُّ عليَّ من مِنَنِ الرجالِ
يقول الناس كسبٌ فيه عارٌ … فقلت: العارُ في ذُلِّ السؤالِ

□ وعن عطاء بن أبي رباح قال: «جاءني طاووس اليمَاني بكلام محبر القول، قال: يا عطاء لا تُنزلن حاجتك بمن أغلق دونك أبوابه، وجعل عليها حجابه، ولكن أنزلها بمن بابه لك مفتوح إلى يوم القيامة، أمرك أن

---

(١) الثوري.

(٢) ابن المعتمر.

(٣) «القناعة والتعفف» (ص٣٣- ٣٤)، وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٢٢) من قول سفيان الثوري: وهو أثر صحيح.

(٤) وفي رواية أخرىٰ «لأحمد الله حين صارتْ».

(٥) نسبه ابن عبد ربه في «العقد الفريد» (٢/ ١٧١) إلى ابن أبي حازم.

(٦) «القناعة والتعفف» (ص٣٤).

تدعوه، وضمن لك أن يستجيب لك»[(١)].

• قال رسول الله ﷺ: «**الرِّزْقُ أشدُّ طلبًا للعبد من أجله**»[(٢)].

• وقال ﷺ: «**لوْ فرَّ أحدُكم من رزقِهِ لأدركهُ كما يدركه الموت**»[(٣)].

◻ وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «ما من امرئ إلَّا وله أثر هو واطؤه، ورزق هو آكله، وأجل هو بالغه، وحتف هو قاتله، حتى لو أن رجلًا هرب من رزقه لاتبعه حتى يدركه، كمَا أن الموت مدرك من هرب منه»[(٤)].

◻ وعن عمر بن عبد العزيز أنه قال: «يا أيها الناس اتقوا الله وأجملوا في الطلب فلو كان رزق أحدكم في قُلَّة[(٥)] جبل أو في حضيض أرض لأكل رزقه، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب»[(٦)].

◻ وقال الشاعر:

أُثــامِنُ بــالنفسِ النفيــسةِ ربَّهــا ... فلـيس لهـا في النـاس كُلِّهـم ثمـنْ

بهـا تـشترى الجنـات إذا بعتهـا ... بـشيء سـواها إن ذلكـم غـبنْ

لئن ذهبـت نفـسي بـدنيا أصبتها ... فقد ذهبت الدنيا وقد ذهب الثمنْ

---

(١) المصدر السابق (ص٣٧- ٣٨).

(٢) حسن: أخرجه القضاعي عن أبي الدرداء، وحسَّنه الألباني في «الصحيحة» (٩٥٢)، و«صحيح الجامع» (٣٥٥١).

(٣) حسن: أخرجه ابن حبان من حديث أبي الدرداء (٣٢٢٧)، وفيه عنعنه الوليد بن مسلم، له شاهدٌ من الحديث الذي قبله.

(٤) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» كما في «كنز العمال» (٩٨٦٣) وزاد: ألا فاتقوا الله وأجملوا في الطلب.

(٥) قُلَّة كل شيء أعلاه، وقلة الجبل أعلىٰ الجبل.

(٦) «القناعة والتعفف» (ص٤٢- ٤٣).

□ وقال غيره:

ومنتظِرٌ سؤالك بالعطايا ... وأفضلُ من عطاياهِ السؤالُ
إذا لم يأتك المعروف عفوًا ... فدعه فالتَّنَزُّهُ عنه مالُ
وكيف يَلَذُّ ذو أدبٍ نوالًا ... ومنه لوجهه فيه إبتذالُ
إذا كان السؤال بِذُلِّ وجْهٍ ... وإلحاح فلا كان النَّوالُ [(١)]

□ وقال الشاعر:

ما اعتاضَ باذلُ وجهِهِ بسؤالِه ... عِوَضًا ولو كان الغِنَى بسؤالِ
وإذا السؤال مع النوال وزنتَهُ ... رجحَ السؤالُ وخفَّ كل نوالِ [(٢)]

□ سأل ابن أخ لمحمد بن سُوقة محمدًا، فجعل محمد يبكي فقال له ابن أخيه: «يا عم، لو علمت أن مسألتي تبلغ هذا منك ما سألتك! قال: يا ابن أخي لم أبك من مسألتك إياي، إنمَا بكيت من تركي ابتدائك قبل أن تسألني»[(٣)].

□ قال الشاعر:

لا تَخضعَنَّ لمخلوقٍ على طَمَعٍ ... فإنَّ ذاك مضر منك بالدِّينِ
واسترزق الله مما في خزائِنِه ... فإنما هي بين الكافِ والنون [(٤)]

غيره:

---

(١) المصدر السابق (ص٤٥)، والنوال: العطاء.

(٢) «ديوان أبي العتاهية» (ص٢٠١، ٢٢٦).

(٣) «الحلية» (٥/ ٦- ٧)، و«صفة الصفوة» (٣/ ١١٧) وهو صحيح.

(٤) «القناعة والتعفف» (ص٥١).

شادَ الملوكُ قصورَهم وتحصَّنوا ... مِن كلِّ طالبِ حاجةٍ وراغبِ

غالوا بأبواب الحديد لعزها ... وتنوقوا[١] في قبح وجه الحاجبِ

فإذا تلطَّف في الدخولِ إليهمُ ... عافٍ تلَقَّوهُ بوعدٍ كاذبِ

فاطلبْ إلى مَلِكِ الملوكِ ولا تكنْ ... يا ذا الضراعةِ طالبًا من طالبِ[٢]

يا للأنصار وعلو همتهم:

□ خرج إلى عبد الله بن كريز بن عامر وهو عامل العراق لعثمان ابن عفان ﷺ رجلان من أهل المدينة، أحدهما: جابر بن عبد الله الأنصاري، والآخر من ثقيف فكتب به إلى عبد الله بن عامر فيما يكتب به من الأخبار فأقبلا يسيرًا حتى إذا كانا بناحية البصرة، قال الأنصاري للثقفي: هل لك في رأي رأيته؟ قال: اعرضه. قال: رأيت أن ننيخ[٣] رواحلنا ونتناول مطاهرنا فنتوضأ، ثم نصلي ركعتين، ولنحمد الله تعالى على ما قضى من سفرنا.

قال: هذا الذي لا يرد، فتوضينا وصلينا ركعتين فالتفت الأنصاري إلى الثقفي فقال: يا أخا ثقيف: ما رأيك؟ قال: وأيُّ موضع رأيٍ هذا؟! قضيت سفري وأنضيتُ[٤] بدني، وانصت راحلتي ولا مؤمل دون ابن عامر، فهل لك رأي غير هذا؟ قال: نعم. قال: إني لما صليت هاتين الركعتين فكرت فاستحييت من ربي أن يراني طالبًا رزقًا من غيره، اللهّم

(١) تنوقوا: بالغوا.

(٢) «القناعة والتعفف» (ص٥١).

(٣) نوخ: أنختُ البعير فاستناخ ونوخته فتنوَّخ، وأناخ الإبل: أبركها فبركت.

(٤) انضيت: أتعبتُ.

يا رازق ابن عامر ارزقني من فضلك، ثم ولى راجعًا إلى المدينة ودخل الثقفي البصرة فمكث أيامًا فأذن له ابن عامر، فلمَّا رآه رحب به ثم قال: ألم أخبر أن ابن جابر خرج معك؟ فخبَّره خبره، فبكى ابن عامر ثم قال: أما والله ما قالها أشرًا ولا بطرًا، ولكن رأى مجرى الرزق ومخرج النعمة، فعلم أن الله الذي منحك ذاك من فضله، فأمر للثقفي بأربعة آلاف، وكسوة، وطرف، وأضعف ذلك كله للأنصاري، فخرج الثقفي وهو يقول:

أمامة ما حرص الحريص بزاهر فتيلا ... ولا زهد الضعيف بضائر
خرجنا جميعًا من مساقط رووسنا ... على ثقة منا بخير ابن عامر
فلما أنخنا الناعجات ببابه ... تأخر عني اليثربي ابن جابر
وقال: ستكفيني عطية قادر ... على ما يشاء اليوم للخلق قاهر
وإن الذي أعطى العراق ابن عامر ... لربي الذي أرجو لسد معاقر
فلما رآني سأل عنه صبابة إليه ... كما حنت ضراب الأباعر
فأضعف عبد الله إذ غاب حظه ... على حظ لهفان من الحرص فاغر
فأتيت وقد أيقنت أن ليس نافعي ... ولا صائر شيء خلاف المقادر(١)

□ وقال أبو عمران الجوني: «أدركت نفرًا يقولون: زينة المؤمن طول صمته وعزه استغناؤه عن الناس» .

---

(١) «القناعة والتعفف» (ص٥٢- ٥٣)، و«قمع الحرص» للقرطبي (ص٥٥- ٥٦).
«القناعة والتعفف» (ص٥٤).

□ وقال أبو حازم: «كيف أخاف الفقر ولمولاي ما في السموات وما في الأرض وما فيهمَا وما تحت الثرى»[(١)].

□ وقال أبو حازم: «وجدت الدنيا شيئين: فشيء منها هو لي، فلن[(٢)] أعجله قبل أجله، ولو طلبته بقوة أهل السموات والأرض، وشيء منها هو لغيري، فذلك ما لم أنله فيمَا مضى، ولا أرجوه فيمَا بقي، فيمنع الذي لي من غيري كمَا يمنع الذي لغيري مني، ففي أي هذين أفني عمري؟ ووجدت ما أعطيته في الدنيا شيئين: فشيء يأتي أجله قبل أجلي فأغلب عليه، وشيء يأتي أجلي قبل أجله فأموت، وأخلفه لمن بعدي ففي أي هذين أعصي ربي»[(٣)].

□ وقال العمري: «لقد انقطعتم إلى غير الله فمَا صنعتم، فإن انقطعتم إليه خشيتم الصنيعة».

□ كان رجل من أهل البصرة له جلة وعطايا ومعروف، فأصابه ريب الزمان[(٤)] فاحتاج مالًا، فأراد أن يضرب في الأرض يبتغي من فضل الله تعالى: فقالت بنية له في ذلك قولًا حكاه عنها في شعرٍ له فقال:

تقولُ ابنتي والسيرُ قد جَدَّ جدُّه ... قد حصرتني بغتةٌ ورَحِيلُ

لعلَّ المنايا في ارتحالك تنذري ... بنفسك قومًا أو تعولك غولُ

فتتركني أدْعَى اليتيمة بعدما تبينُ ... وعِزِّي بعد ذاكَ ذليلُ

---

(١) نفس المصدر.

(٢) «القناعة والتعفف» (ص٥٥)، و«الزهد» لابن المبارك (٦٣٢)، و«الحلية»

(٣) (٣/ ٢٣٧) وهو صحيح.

(٤) أي: مصائب الدهر.

أَفِي طلبِ الدنيا وربك للذي ... تحاولُ منها والشخوصُ كفيلُ؟
أليسَ ضعيفُ القوم يأتيه رزقُهُ ... يُساقُ إليه والبلاد محولُ
ويحرم جمع المال من لم يزل به ... بكل بلادٍ رحلةٌ وحُلولُ
فلو كنت في طَرْدٍ على رأسِ هضبةٍ ... لها الجفُّ فيه والوعولُ تقيلُ
بصعيدة لا تستطاع اتقاؤها ... وليس إلى منها النزولُ سبيلُ
إذًا لأتاك الرزقُ يحدوه سائقٌ ... حثيثٌ ويهديه إليك دليلُ (١)

من مواعظ الأعراب:

□ حُكي أن قومًا من الأعراب زرعوا زرعًا، فلمَّا بلغ أصابته آفة فذهبت به فاشتد ذلك عليهم، حتى رؤي فيهم، فخرجت أعرابية منهم فقالت: «ما لي أراكم متغيرةً ألوانكم، ميتة قلوبكم، هو ربنا فليفعل بنا ما يشاء، ورزقنا عليه، يأتي به من حيث يشاء، ثم أنشدت تقول:

لو كانَ في صخرةٍ في البحر راسيةٍ ... صماءَ ملمومةٍ ملسٍ نواحِيها
رزقٌ لنَفْسٍ براها اللهُ لانفلقتْ ... حتى تؤدِّي إليه كلَّ ما فيها
أو كانَ بين طباقِ السَّبْع مسلكها ... لسهَّلَ اللهُ في المرقى مراقيها
حتى تنالَ الذي في اللوح خُطَّ لها ... فإن أتتهُ وإلَّا سوفَ يأتيها

وقال أيوب بن وائل: «لا تهتم للرزق واجعل همك للموت» (٢).

---

(١) «القناعة والتعفف» (ص٥٥).

(٢) «القناعة والتعفف».

المصدر السابق (ص٦٠).

□ وقال أيوب بن وائل: «لا تهتم للرزق واجعل همك للموت»[١].

□ وقال الفضيل: «ما اهتممت لرزق أبدًا أو قال: إني لأستحي من ربي أن أحزن لرزقي بعد رضائه»[٢].

□ وقال منبه بن عثمَان: «إن أطيب ما أكون نفسًا ليوم تقول: فقير»[٣].

□ وقال الحسن بن حسين: «إني لأصُبحُ وما عندي دينار ولا درهم ولا رغيف وكأنمَا حُذِيَتْ لي الدنيا بحذافيرها»[٤].

□ وقال الشاعر:

يا جامعًا مانعًا والدهرُ يرمُقُهُ ... مقدرًا أي ناب فيه يعلُقُهُ
مفكرًا كيف تأتيه منيته ... أغاديًا أم بها يسري فتطرقُهُ
جمعت مالًا ففكِّرْ هل جِمعتَ له ... يا جامعَ المال أيامًا تُفرِّقُهُ
المال عندكَ مخزونٌ لوارثِهِ ... ما المال مالُك إلَّا يومَ تُنْفِقُهُ
أرفه ببال فتًى يغدو على ثقة ... إن الذي قسم الأرزاقَ يرزقُهُ
فالعرضُ منه مصونٌ لا يُدَنِّسُهُ ... والوجهُ منه جديدٌ ليس يخْلِقُه
إنَّ القناعةَ مَن يحلُلْ بساحِتها ... لم يلقَ في ظلِّها همًّا يُؤَرِّقُه[٥]

□ وقال محمد بن كعب في قوله تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾

---

(١) المصدر السابق (ص٦٠).
(٢) المصدر السابق (ص٦٠).
(٣) المصدر السابق (ص٦٠).
(٤) المصدر السابق (ص٦٠).
(٥) المصدر السابق (ص٧٣).

نصيحة من عفيف قانع زاهد لقاضي البصرة:

□ لمَّا ولي القضاء سوار بن عبد الله بالبصرة كتب إلى أخ له كان يطلب العلم معه وكان ببعض الثغور: «أما بعد: فإني لم أدخل في القضاء حين دخلت فيه إلَّا مخافة أن يحملني الفقر على ما هو أعظم من القضاء، وذكر كثرة العيال، وقلة الشيء، وقلة مواساة الإخوان، ووسوسة الشيطان، وضعف الإنسان وأشياء رقق بها فكتب إليه: أما بعد: أوصيك بتقوى الله يا سوار الذي جعل التقوى عوضًا من كل فائت من الدنيا، ولم يجعل شيئًا من الدنيا يكون عوضًا عن التقوى، فإن التقوى عقدة كل عاقل إليها يستروح وبها يسترشد، ولم يظفر أحد في عاجل هذه الدنيا وآجل الآخرة بمثل ما ظفر به أولياء الله الذين شربوا بكأس حبه وكانت قرة أعينهم فيه، وذلك أنهم أعملوا أنفسهم في حسم الأدب، وراضو فيها رياضة الأصحاء الصادقين، فطلقوها عن فضول الشهوات، وألزموها القوت المعلق، وجعلوا الجوع والعطش شعارًا لها برهة من الزمان، حتى انقادت وأذعنت، وعزفت لهم عن فضول الحطام، فلمَّا ظعن حب فضول الدنيا عن قلوبهم وزائلها أهواءهم، وانقطعت أمانيهم، وصارت الآخرة نصب أعينهم ومنتهى أملهم، وورث الله قلوبهم نور الحكمة، وقلدهم قلائد العصمة، وجعلهم دعاة لمعالم الدين يلمون منه الشعث، ويشحبون الصدع، لم يلبثوا إلَّا يسيرًا حتى جاءهم من الله موعود صادق اختص به العالمين له، والعاملين به، دون من سواهم، فإذا سرك أن تسمع صفة الأبرار الأتقياء فصفة هؤلاء فاستمع وإياك يا سوار ونسيان

الطريق والسلام»[(١)] .

□ وقال بكر بن عبد الله المزني: «يكفيك من الدنيا ما قنعت به ولو كف تمر وشربة ماء، وظل خباء، وكل ما انفتح عليك من الدنيا شيء ازدادتْ نفسُك به تعبًا»[(٢)] .

□ وقال أيوب السختياني: «لا تنبل الرجل حتى يكون فيه خصلتان: العِفَّة عما في أيدي الناس، والتجاوز عمَّا يكون منهم»[(٣)] .

□ لقي عبد الله بن سلام كعب الأحبار عند عمر فقال: «يا كعب من أرباب العلم؟. فقال الذين يعملون به. قال: فمَا يذهب العلم من قلوب العلمَاء بعد إذ عقلوه وحفظوه؟ قال: يذهبه الطمع وشره النفس، وتطلب الحاجات إلى الناس قال: صدقت»[(٤)] .

□ وكان عمر رضي الله عنه يقول على المنبر: «أيها الناس إن الطمع فقر، وإن اليأس غنى، وإن الإنسان إذا يئس من الشيء استغنى عنه»[(٥)] .

---

(١) «القناعة والتعفف» (ص٧١).

(٢) حسن: «حلية الأولياء» (٢/ ٢٢٥)، و«القناعة والتعفف» (ص٧٣- ٧٤).

(٣) «حلية الأولياء» (٣/ ٥)، و«القناعة والتعفف» (ص٨٠)، وفي رواية: «لا يعبد»، وفي رواية: «لا يسود».

(٤) إسناده حسن: أخرجه ابن أبي الدنيا من طريق أبي أسامة بن زيد عن أبي معن قال: لقىٰ عبد الله بن سلام. فذكره، انظر: «قمع الحرص» للقرطبي (ص١٥٢) في سنده أسامة بن زيد الليثي وهو صدوق يهم كما في «التقريب» (١/ ٥٣).

(٥) صحيح: وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٦٣١)، وأحمد في «الزهد» (ص١٤٦)، وأبو نعيم في «الحلية الأولياء» (١/ ٥٠)، وأورده القرطبي في «قمع الحرص» (ص١٥٢) نقلاً عن ابن أبي الدنيا.

• وقال رجل: يا رسول الله أوصني قال: **«عليك باليأس مما في أيدي الناس فإنه الغنى، وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر، وصل صلاتك وأنت مودع، وإياك وما يعتذر منه»**(١).

□ ولله در القائل:

كفافُ امرئ قانع قوته ... ومن يرض بالقنع نال المنى

□ وقال آخر:

عليك بتقوى الله واقنع برزقه ... فخير عباد الله من هو قانع

ولا تلهك الدنيا ولا تطمع بها ... فقد يهلك المغرور فيها المطامع

وصبرًا على ما ناب منها فما يستو ... ي عبد صبور وجازع

أعاذل ما يغني الثراء عن الفتى ... إذا حشرجت في النفس منه الأضالع

---

(١) حسن: أخرجه أحمد (٥/ ٤١٢)، وابن ماجه (٤١٧١)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣٦٢)، والطبراني في «الكبير» (٣٩٨٧) والبيهقي في «الزهد» (١٠٢) وسنده ضعيف؛ فيه عثمان بن جبير، من المجهولين كما في «الميزان» (٣/ ٣١).
وله شاهدٌ من حديث سعد بن أبي وقاص، أخرجه الحاكم (٤/ ٣٢٦- ٣٢٧) والبيهقي في «الزهد» (١٠٠)، والبخاري في «تاريخه» (١٠٠).
وسنده ضعيف؛ فيه محمد بن أبي حميد من «الضعفاء» كما في «التقريب» (٢/ ١٥٦)، وفي الطريق الآخر انقطاعٌ.
وله شاهدٌ من حديث ابن عمر، أخرجه البيهقي في «الزهد» (٥٢٨)، والطبراني في «الأوسط» كما في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٢٩)، وابن النجار، وأبو محمد الإبراهيمي في كتاب الصلاة كما في «كنز العمال» (٣/ ٢٢) وسنده ضعيف.
وله شاهدٌ من حديث أنس، أخرجه البيهقي في «الزهد» (٥٢٧)، ولكن فيه الكديمي، وهو متهم.

□ وقال غيره:

أقسم بالله لرضخ النوى	وشرب ماء القلب المالحةْ
أعز للإنسان من حرصه	ومن سؤال الأوجه الكالحةْ
فاستشعر اليأس تكن ذا غنى	متغبطًا بالصفقة الرابحة
فالزهد عز والتقوى سؤدد	ورغبة النفس لها فاضحة
من كان الدنيا به برة	فإنها يومًا له ذابحة

✍ فاللَّهم ارزقنا العفة والقناعة.